وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

عظماء القرن العشرين



د. بهجت سليمان

عظماء
القرن العشرين
أربعة عشر عظيماً

تصميم الغلاف

عبد العزيز محمد

د. بهجت سليمان

عظماء القرن العشرين

أربعة عشر عظيماً

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٧م



عظماء القرن العشرين: أربعة عشر عظيماً / بهجت سليمان .- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٧م.- ٢٠٠ص؛ ٢٥سم.

١- ٩٢٣.١ س ل ي ع ٢- العنوان ٣- سليمان

مكتبة الأسد

في رحاب القامات الكبيرة

بقلم
محمد الأحمد
وزير الثقافة

ظل د. بهجت سليمان، رغم انشغالاته الكبيرة كقائد عسكري وسياسي ثم كمسؤول ديبلوماسي، وربما بسبب هذه الانشغالات، عاشقاً شغفاً لعالم الثقافة والكتب والأفكار، بل وكان ينقل معه مكتبته الضخمة العامرة حيثما ذهب وكيفما تنقل بين المناصب والمهمات، وكان يفاخر أمام زواره وجلّاسه بمحتويات هذه المكتبة من نفائس الكتب. وكان أكثر ما يطربه ويمتعه هو مجالسة المفكرين والكتاب والفنانين، والاستماع إليهم، ومناقشة كل القضايا الفكرية والأدبية المطروحة على الساحة الثقافية معهم.

وظل أيضاً أميناً لميوله الفكرية والبحثية: الاهتمام بكل ما يتعلق بدول العالم الثالث، وبالتحديد ما يتعلق بسعيها الحثيث للتحرر واتخاذ طريقها الوطني المستقل بعيداً عن إملاءات كبار هذا العالم، وبالذات دول الغرب الرأسمالي، الصغرى منها والعظمى. وهذا ليس غريباً عليه، فقد ولد وترعرع في أتون هذه المعركة النضالية التحررية، وواكبها وكان من الناشطين فيها أيام القائد الخالد حافظ الأسد وفي عهد الرئيس المفدى بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية. وكلنا نذكر البسالة التي واجه بها الدكتور بهجت، إبان الأزمة السورية، أزلام الأنظمة الرجعية

العميلة للغرب الاستعماري عندما كان سفيرنا في الأردن، وتصديه للدفاع عن بلده في وجه كل من حاول النيل منها على الساحة الأردنية. فقد كان عشق بلده سورية يتغلغل في مسامات جلده وحنايا روحه، ولم يكن يقبل أن يراها إلا أعز أرض وأجمل وطن.

يقدم لنا الدكتور بهجت سليمان في كتابه هذا عدة شخصيات قيادية هي من أبرز وجوه الملحمة الإنسانية والثورية الكبرى التي عرفتها شعوب المعمورة للتخلص من أصفادها والتحرر من سجانيها. فصلان من الكتاب فقط مرتبطان بقائدين أوربيين، هما لينين وتيتو، أما بقية القادة فهم من القارات الثلاث التي تعرضت لأكبر اضطهاد في التاريخ الإنساني: آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

واضح مما ورد آنفاً أن السيد المؤلف يركز، لدى اختياره للشخصيات، على معارك التحرر الوطني التي خاضتها شعوب ما يعرف بالعالم الثالث. وحتى اختياره لشخصيتين أوربيتين كان مرتبطاً إلى حد كبير بالدور الذي أدته كل من هاتين الشخصيتين في دعم ومساندة معارك التحرر هذه.

إن همّ هذا الكتاب هو كهموم الكتب التي سبق وقدمها الدكتور بهجت للقراء: البحث عن شعلة الأمل التي تجعل النصر في معارك التحرر من ربقة التبعية للغرب الرأسمالي ممكناً وضرورياً، وتصوّر الخوض في هذه المعارك بكل بسالة واقتدار كحتمية لا بد منها، إذا أردنا لأوطاننا أن تنعم باستقلالها وحريتها وكرامتها.

مُقَدِّمَة

- القــرن العــشرون : قَــرْنُ العمالقــة الــذين أبــدعوا في صــناعة التاريخ.. بدَأَ ومَرَّ بـ :

- **لينين**
- **ماو تسي تونغ**
- **نهرو**
- **تيتو**
- **هوشي منه**
- **جمال عبد الناصر**
- **فيديل كاسترو**
- **حافظ الأسد**
- **هواري بومدين**
- **الإمام ا لخميني**

- **مانديلا**

- **تشافيز**

- **السيّد حسن نصر الله ..**

- وقد رحلت أجسادُ اثني عشرَ عظيماً منهم، وبقيت أرواحُهُم بيننا.. وبقي معنا رمزٌ أسطوريٌّ واحدٌ هو سيّد المقاومة، جسداً وروحاً، يحفظه الله.

- وبَدأَ القرنُ الحادي والعشرون بِعملاقٍ لا ثاني له، حتى اليوم، هو أسد بلاد الشام: **الرئيس بشار الأسد** .

لينين

-١-

لينين

ولد فلاديمير إيليتش أوليانوف (لينين) في العاشر من نيسان – أبريل عام ١٨٧٠م في أسرة بسيطة وسعيدة، في بلدة (سيميرسك) [تدعى اليوم (إليانوفسك) على اسمه] وهي حاضرة ريفيّة على نهر الفولغا.. ورث عن والده عينيه الحادّتين وعظمتي خدَّيه البارزتين وشعره الأحمر.. ورأسه الأصلع.

في عام ١٨٨٧م أعدمت الشرطة الرّوسيّة في (سان بطرسبورغ) أخا (لينين) الأكبر، المدعو (ألكسندر) [والملقّب بساشا] بعد أن كان قد شكّل مع خمسة من زملائه الجناح الرّاديكالي في حزب (نارودنايا فوليا) الذي خطّط لاغتيال القيصر (ألكسندر الثّالث). وكان (ألكسندر) هذا قد قام، قبيل القبض عليه مباشرة، بترجمة كتاب (ماركس) «دراسة نقديّة لفلسفة هيغلْ عن الخير» الذي ألّفه (ماركس) عام ١٨٤٤م، والذي انكبَّ لينين على قراءته فور انتهاء (ألكسندر) من ترجمته، وفاقاً لما روته (أنّا) أخت (لينين). ولم يكن (لينين) قد اعتنق الماركسيّة قبل عام (١٨٩٣م).

في شـــهر آب - أغـــسطس مـــن عـــام (١٨٨٧م) التحـــق (لينـــين) بجامعة (كازان) ليدرس الحقوق. إلّا أنّ (فولوديا) [وهو الاسم الـذي عـرف بـه لينـين في العائلـة] سرعـان مـا انخـرط في مظـاهرة طلّابيّـة، ألقـي عليـه القبض إثرها وطُرد من الجامعة في الخامس من كـانون الأول – ديـسمبر عـام (١٨٨٧م). وفي تلـك الفـترة العـصيبة، داوم (لينـين) في ضـيعة والدتـه على الدّراسة الشّاقة بكلّ نهم وتحدٍّ، كما واظب بالرّياضـة عـلى العنايـة بلياقتـه البدنيّة فقد كان سبّاحاً ممتازاً ومتزحلقاً جريئـاً عـلى الـثّلج، كـما مـارس تـسلّق الجبال والصّيد.

في عام (١٨٨٩م) تحوّل (لينين) إلى قراءة مؤلّفات الماركسيّ الـرّوسيّ الأشهر والأوّل (بليخانوف) مؤسّس الماركسيّة الرّوسيّة.

وفي العام نفسه – (١٨٨٩م)- انتقلـت أسرة (لينـين) إلى (سـامرى) وهي مدينة نائية ومنعزلة، ولكـنّ (لينـين) وفّـر لنفسه هنـاك جـوّاً خاصّـاً بلقاءاته بقدامى المحاربين والسّياسيين الـذين يعيـشون هنـاك تحـت رقابـة «الشّرطة»، واستطاع أن ينتزع منهم المعلومات عن طرائق التّنظيم السّرّيّ.

أخيراً، وفي عام (١٨٩٠م) سمحت له الـسّلطات بـأداء امتحاناتـه في كلّيّة الحقوق كطالب منتسب «من الخارج» [أي كطالب حرّ بلغتنا اليـوم في سورية]، وفي تشرين الثّاني – نوفمبر من عام (١٨٩١م) تمكّن (لينـين) مـن اجتياز المقرّرات الدّراسيّة لسنوات الجامعة الأربـع في سـنة واحـدة، وكـان ترتيبه الأوّل! وفي الأثناء ذاتها لم يُعوِزه الوقت، إذ كـان لديـه الفـائض منـه لترجمة «البيان الشّيوعي» لـ (كارلْ ماركسْ).

في عام (١٨٩٣م) صار (لينين) معروفاً في (بطرسبورغ)، وكان قد اعتنق الماركسيّة فلسفةً ثوريّة وسلاحاً فكريّاً ثوريّاً للطّبقة العاملة من عمّال وفلاحين أقنان زراعيين (عبيد زراعيين)، أو كما سمّيت في الأدبيّات الماركسيّة بالبروليتاريا.

في عام (١٨٩٥م) أسّس (لينين) مع (مارتوف- Martov) في (بطرسبورغ) ما سمّي بـ «عصبة النّضال من أجل تحرير الطّبقة العاملة»، وما لبث أن اعتقلَ وسُجنَ، ثمّ نُفيَ إلى (سيبيريا) [ثلّاجة القيصر التي يُجمّد فيها أعداءه!]. وفي عام (١٩٠٠م) هاجر إلى أوروبّا الغربيّة، وأسّس في (ميونيخ) صحيفة (إيسكرا- Iskara) أو «الشّرارة»، وكانت أول صحيفة ماركسيّة توزّع على نطاق واسع في (روسيا). لعبت هذه الصّحيفة دوراً كبيراً في تكوين أوّل حزب ماركسيّ سيصيرُ عالميّاً فيما بعد، ووضعت هذه الصّحيفة برنامجاً سياسيّاً لهذا الحزب.

في ١٧من تموز- يوليو عام (١٩٠٣م) عُقد المؤتمر الثّاني لـ «عصبة النّضال من أجل تحرير الطّبقة العاملة»، التي أسّسها مع (مارتوف)، وتمّ تدشين «الحزب البلشفي» (حزب العمال الدّيموقراطيّ الاشتراكي الرّوسيّ) بزعامة (لينين)، والذي قاد البروليتاريا والفلّاحين الكادحين في (روسيا) بقيادة (لينين) في الصّراع المُضني للإطاحة بنظام «القيصر» في (روسيا)، وإقامة النّظام الاشتراكيّ.

بين عامي (١٩٠٤ و ١٩٠٥م) اندلعت الحرب بين (روسيا) و(اليابان) نتيجة التّكالب الاستعماريّ على المستعمرات في منشوريا والصّين

وكوريا، إذْ كانت بريطانيا لا ترغبُ ولا تسمح في رؤية دولة قويّة كروسيا في منطقة الشّرق الأقصى، فيما قامت (فرنسا) بدوافع طمعها الاستعماريّ التّنافسيّ بتمويل (روسيا) القيصريّة في هذه الحرب.

في عام (١٩٠٥م) سادت موجة من الاستياء الشّعبيّ العام في (روسيا) والذي انتشر في قطاعات المجتمع كلّها، باستثناء تلك المؤلّفة من التّجار والعقاريين وسماسرة العقارات وأثرياء الزّراعيين من «الكولاك» [الرّأسماليين الزّراعيين] والصّناعيين والحرفيين؛ و ذلك إثر ما خلّفته الحرب مع اليابان من دمار ومجاعات.

استغلّت طبقة «البورجوازيّة الليبراليّة» هذا الوضع المأزوم المتوتّر المنذر بالانفجار الشّعبيّ، فقامت على عجلٍ بتظيم «حزب» يتألّف من المعارضة البرلمانيّة للقيصر، و هو ما سمّي بحزب الديموقراطيين الدّستوريين أو ما عرف باسم «الكاديّون»-Kadets، الذي تعاون معه «المنشفيّون» (Menshevisks : و هم أعضاء جماعة «معتدلة» من الحزب الثّوري الاشتراكي الرّوسيّ، كانت تدعو إلى التّدرّج في بناء الاشتراكيّة في روسيا) لتنظيم إضرابات عارمة من أكبر الإضرابات التي عُرفت في التّاريخ، و تفجير ما سُمّي بالثّورة البورجوازيّة في روسيا عام (١٩٠٥م).

اقتصرت هذه «الثّورة» على التّصادم بين قوى الإنتاج الرّأسماليّة (البورجوازيّة)، وبين نمط الإدارة القيصريّة، وحصرت أهدافها في برنامج

صـغير للأهـداف الدّيموقراطيّـة، كإنـشاء الجمهوريّـة، و إصـلاحات اقتصاديّة، والفصل بين الكنيسة و الدّولـة، وإصـلاحات في مجـال إصـلاح الملكيّة الزّراعيّة.

انتقد (لينين)، الذي لم يشترك حزبه «البلشفيّ» في هـذه «الإضرابـات الثّوريّة»، «ثورة» عام (١٩٠٥م) فقد قـال: «كـان مـن شـأن درجـة النّمـوّ الاقتصاديّ الرّوسيّ، و كذلك الوعي الطّبقيّ و تنظيم القاعدة العريضة مـن الجماهير البروليتاريّة، كلّ ذلك كان من شأنه أن جعل من التّحريـر الكامـل والفوريّ لطبقة العمّال، أمراً مستحيلاً».

أقام «المنشفيّون» أوّل «سـوفييت» (أو مجلـس) للعـمّال، في مـشروع «برلمان»، إلّا أنّ هذا السّوفييت لم يستمرّ لأكثر من (٥٠ يوماً)، مقلّداً بـذلك «ثورة» أو (كومونة) باريس الاشتراكيّة، الفاشلة، في عام (١٨٧١م).

كان اشتراك (لينين) في هـذه التّـشكيلة شـكليّاً كحـزب «بلـشفيّ»؛ وسرعـان مـا تـأجّج الخـلاف بـين (لينـين) و(تروتـسكي) الـذي ابتـدع مفهوم «الثّورة الدّائمة»، ومضمونها نوع من الفوضويّة الثّوريّة التي تقـضي بـأن تـستمرّ طبقـة البروليتاريـا بالمـضيّ قـدماً نحـو الاشـتراكيّة، دون تنظـيمٍ ثـوريّ؛ في الوقـت الـذي رأى فيـه لينـين إمكـان إنجـاز «الثورة البورجوازيّة» أوّلاً، لتعيد «الطّبقـة العاملـة» تنظيمهـا والاسـتعداد لمعـاودة «جميـع الـشّعب» (البروليتاريـا والفلاحـين) الانقـضاض عـلى نظام القيصر.

شكّك (تروتسكي) بالقدرة على فعل ذلك دون أن تعتمد «الثورة الرّوسيّة» على «ثورات» خارجيّة للعمّال والفلاحين في الدّول الأخرى لمساندة «الثّورة» في روسيا، و هذا هو الجانب الآخر لمفهوم (تروتسكي) عن «الثّورة الدّائمة»؛ هذا في الوقت الذي رفض فيه (لينين) هذه «النّظريّة» وتمسّك بمقولته عن «الثورة» أن لا بدّ لها من الظّرف الذّاتيّ المناسب.

في هذه الأثناء كان (لينين) يتحضّر للعودة من (استوكهولم) إلى (روسيا). وكان عندها وحيداً ومتفرّداً في تصوّره الثّوريّ لدور «السّوفييت» (مجالس البروليتاريا). واعتقل (تروتسكي).

كان نقد (لينين) صريحاً للإضراب الثّوريّ في (روسيا) فقال: «لقد كان القتال المسلّح الجسور الذي تقوم به جماهير الشّعب ضدّ القيصر، شرّاً لا بدّ منه». و هنا يؤسّس (لينين) لمفهوم «العنف الثّوريّ» أو «العنف المشروع».

في الفترة الممتدّة ما بين (١٩٠٦ و ١٩١١م)- و هي فترة الحكومة البورجوازيّة الرّوسيّة- قام في روسيا ما عرف بنظام حكم (ستولين) عن طريق مجلس «الدّوما» البورجوازيّ، و كان (ستولين) وزيراً للدّاخليّة في (روسيا).

انصاع (لينين) للأمر الواقع، فقد قضت الظّروف والضّرورات الثّوريّة البقاء البلشفيّ في الحكومة البورجوازيّة، وقال حينها (لينين)

قولته الشّهيرة: «ليسَ أمامنا خيار سوى العمل داخل زريبة الخنازير هذه التي يُسمّونها الدّوما»! و تابع (لينين) نضال حزبه «البلشفيّ» من داخل «الدّوما» البورجوازيّ.

قام البلاشفة بتبرير كلّ النّشاطات والأعمال ضدّ الحكومة البورجوازيّة، إلى أن وصل بهم الأمر إلى الإغارة والسّطو على البنوك، وكان ذلك بتخطيط وتنفيذ جماعات بقيادة (ستالين)؛ وظهرت الخلافات والتّناقضات الحادّة في صفوف «البلشفيين» أنفسهم، نتيجة تعقيدات الظّروف «الموضوعيّة» للثورة.

في مؤتمر انعقد في (براغ) التفَّ، من جديد، صناديد البلاشفة حول (لينين) في عام (١٩١٢م) وكان منهم (ستالين) و(بوفارين) و(سفيردلوف) و(شوميان).. وآخرون.

عندما اندلعت الحرب العالميّة الأولى عام (١٩١٤م) ألقي القبض على (لينين) كونه عدوّاً أجنبيّاً على أراضي (النّمسا) «البولنديّة»، وذلك في السّابع من آب- أغسطس من عام ١٩١٤م.

بعد ذلك، خاض (لينين) ما بين عامي ١٩١٥ و ١٩١٧ نضالات عسيرة. وكان حزبه البلشفيّ قد صوّت ضدّ مشروع الموازنة الحربيّة لعام ١٩١٤م بداية الحرب العالميّة الأولى.

و في عام ١٩١٥م حدثت أول عمليّات الاستسلام الانهزاميّة على الجبهة، فتمرّد أسطول البلطيق، وبحلول عام ١٩١٧م كان هناك

ما يقرب من (١٥) مليون عاملٍ يرتدون الزّيّ الرّسميّ..، إيذاناً بموجة المدّ الثّوريّ الكاسحة.

و في هذه الأثناء، كانت عاصفة الخرافات (راسبوتين) والتّفسّخ والانحلال والانحطاط و الفساد وعدم الأهليّة و المؤامرة، تعصف في قصر القيصر وتنخر ما تبقّى فيه من هيكل.

أصبح الجنرالات والنّبلاء والسّياسيّون يتحدّثون علانية عن الانقلاب على القيصر، وذلك بتأييد من الدّبلوماسيين الفرنسيين والبريطانيين: إنّه «لن يُنقذنا سوى دكتاتوريّة عسكريّة»!

عام ١٩١٧م، وفي ٢٣ شباط - فبراير، يوم المرأة العالميّ، قام محتجّون باستغلال المناسبة بالاحتجاج على سوء توزيع الموادّ الغذائيّة وارتفاع أسعارها، بالإضافة إلى عمّال المصانع، فقد اشتبكوا جميعاً مع قوّات الشّرطة. وفي ٢٤ شباط – فبراير أعلن (٢٠٠) ألف عاملٍ الإضراب في بتروغراد (بطرسبورغ). وفي ٢٥ شباط – فبراير أُعلن الإضراب العام في (بتروغراد)، وجرى إطلاق النّار على الثّوريين واعتقالهم. وفي ٢٦ شباط – فبراير حلَّ القيصر مجلس «الدّوما»، ولكنّ أعضاءه أصرّوا على انعقاده والاجتماع بصورة غير رسميّة.

وفي ٢٧ شباط – فبراير أعلنت الأفواج العسكريّة التمرُّد وتشكيل مجلس نوّاب العمّال (مجلس الدّوما)بصورة مؤقّتة.

وفي ٢٨ شباط – فبراير أُلقي القبض على وزراء القيصر، وقام العمّال والجنود بالاستيلاء على سجن «سكللبرج». وفي اليوم نفسه، صدر أوّل عدد لجريدة «إزفستيا» الرّوسيّة.

وفي الأوّل من آذار – مارس شُكِّل الجناح العسكريّ للسّوفييت، وافتتحت الجلسة الأولى لسوفييت (مجلس) موسكو. وفي تلك المرحلة الخطيرة من تاريخ البلاشفة، قام قادة الحزب بالانشقاق على أنفسهم، واختلطت الأمور على معظمهم.

كان (لينين) في تلك الأثناء ما يزال في المنفى، يستشيط غيظاً. وكان لابدّ من المغامرة الجريئة في تلك اللّحظة التّاريخيّة من النّضال.

وصل (لينين) إلى (روسيا)، وكان في صباح يوم ٣ نيسان – أبريل عام ١٩١٧، في «محطّة القيصر»، في مقاطعة (فيبورج)، وكان في استقباله قادة مجلس «سوفييت» (بتروغراد) مع آلاف مؤلّفة من العمّال والجنود البلشفيين.

وفي مساء ذلك اليوم، صعق خطاب (لينين) المدوّي «الثّوريين الاشتراكيين» و«المنشفيين»، بل وحتّى «البلشفيين» المخلصين: «نحن لسنا بحاجةٍ إلى ديموقراطيّة بورجوازيّة..، ولا بدّ من إعطاء كافّة الصّلاحيّات لمجالس السّوفييت»!

وفي اليوم التّالي، في الرّابع من نيسان – أبريل، عقد (لينين) مؤتمراً حزبيّاً، طرح فيه جميع أفكاره عن «الثورة»، وتعدّ هذه «الوثيقة» من أهمّ وثائق «الثورة»، وقد عرفت في التّاريخ بـ «أطروحات أبريل»! ..

أربكت «أطروحات أبريل» الحرس القديم من «البلاشفة» أنفسهم، وقامت لجنة بطرسبورغ البلشفيّة برفض أطروحات (لينين) بالأغلبيّة!

ناضل (لينين) لإقناع «البلشفيين القدامى» بأطروحاته الثّوريّة، لتجاوز «الثورة البورجوازيّة» التي رأى أنّها قد أنهت مهامّها، واكتملت؛ ورفض بوضوح تسليم نتائج الثّورة وإنجازاتها للطّبقة البورجوازية.

وصل (تروتسكي) وبدأ النّزاع الصّريح بين القائدين (لينين) و(تروتسكي)!

استطاع (لينين) في هذه العاصفة أن يضبط أعصابه، لئلّا ينفجر الصّراع المسلّح بين أطراف «الثّورة»، وظلّ يقول: «لم يحن الوقت بعد»، وكان عليه أن يوسّع من انتصار الجماهير له، و لكنّه كان مصرّاً في الوقت ذاته على أنّه «لا يمكن الإطاحة بالطّبقة البورجوازيّة» إلّا عندما تصبح طبقة البروليتاريا هي الطّبقة الحاكمة.

أخذت قوات الجيوش الألمانيّة بالتّقدّم، وفي الحادي والعشرين من آب-أغسطس قامت القوات الألمانيّة بالاستيلاء على ميناء (ريجا)، أحد أهمّ موانئ الأسطول الموالي للبلاشفة، فيما أصيب (كيرنسكي) رئيس الحكومة المؤقّتة بالجبن والهلع وفقدان الصّواب.

في ليلة الرّابع والعشرين من تشرين الأول – أكتوبر وصل (لينين) إلى مقرّ الحزب البلشفيّ في (سمولني إنستيتوت)، وفي السّاعة الثّانية من صباح ٢٥ تشرين الأول – أكتوبر بدأت عمليّات الثّورة الشّيوعيّة في روسيا بساعة الصّفر.

في السّابع و العشرين من أكتوبر طلب (لينين) مباشرة المفاوضات مع القوات الألمانيّة من أجل هدنة فوريّة، وفي ديسمبر–كانون الأول من العام ١٩١٧م وقّع لينين معاهدة السّلام مع (ألمانيا) والتي عرفت بمعاهدة سلام (برِستْلوتوفيسك) الشّهيرة، مجنّباً (روسيا) دماراً شاملاً؛ و قد عارضه في ذلك جميع انتهازيي المناشفة، وعلى رأسهم (تروتسكي) الشّهير.

يُثبت تاريخ الثورة البلشفيّة الرّوسيّة ومجرياتها قدرة الأفراد والشّخصيّات العظيمة على جعل أفكارها موضع ممارسة ثوريّة يمكن أن تُنقذ أمّة من الدّمار.

لقد كان لـ (لينين) الفضل التّاريخيّ في نهوض (روسيا) العالميّ المعاصر، حتّى إنّ الاتّحاد السّوفييتي الذي نشأ مع ثورة أكتوبر الاشتراكيّة العظمى، أثبت قدرة الأفكار الثّوريّة على ممارستها في التّطبيق وفي تحقيق المعجزات.

كابد (لينين) جميع ألوان العذاب من السّجن إلى النّفي إلى تنكّر أقرب رفاقه له، ومع ذلك ما كان ليثنيه شيء عن تحقيق معجزته في

بناء الاتّحاد السّوفييتي واستمراره على أفق أكثر من سبعين عاماً غيّر فيه مفاهيم العالم والفكر السيّاسيّ المعاصر، وأسهم بأكبر الفعالية في بناء نظام عالميّ جديد، ما زالت آثاره شاخصة حتّى اليوم، وربّما لا يمكن أن تزول.

وعندما تقترن اللحظة التّاريخيّة بفكر ماضٍ مع توفّر العزيمة والإصرار الثّوريين، فنحن حتماً، إذاً، أمام منعطف تاريخيّ آبد، للشّخصّيات العظيمة وللقادة التّاريخيّين فيه أكبر الأثر..

فارق (لينين) الحياة عام (١٩٢٤) عن عمر (٥٤) عاماً، بعد صراع مع المرض، فقد توفي إثر نزيف حادّ في الدماغ، تماماً مثل والده، وخلفه (ستالين) في قيادة الاتحاد السوفيتي.

ماو تسي تونغ

-٢-

ماو تسي تونغ

ولـد مـاو تـسي تونـغ في ٢٦ كـانون الأول – ديـسمبر ١٨٩٣ في قرية (شاوشان) التي تقع في مقاطعة (هونـان) الـصّينيّة، لأسرة بـسيطة تعمل في الزّراعة. جمع (ماو) بين عمله مع أسرته في الزّراعة، وبـين دراسـته اللغـة الـصّينيّة و أعـمال (كونفوشـيوس) وأعـمال الكتّـاب الكلاسـيكيين الصّينيين. أبدى منذ صغره اهتماماً كبيراً بدراسة تـاريخ ثـورات الفلاحـين. وكان بطبيعته متمرّداً ثائراً، فقد هـرب، وهـو في العـاشرة مـن عمـره، مـن بيت والديه.

في عامَي (١٩١١ – ١٩١٢م) قامت الثّورة الصّينيّة التي أطاحت بحكومة (المانشو) [الإقطاعيّة] وظهرت جمهوريّة الصّين. التحق (ماو) بالجيش الثوري عام (١٩١١م) مؤيّداً قـضيّة «الجمهوريّـة». في عـام (١٩١٢م) تـرك دراسـته النّظاميّة وأكبّ على قراءة (روسُوْ) و(مونتسكيُوْ) و(آدمْ سميثْ) و(سـتيوارتْ ميلْ) و(داروِنْ) و(سبنسَرْ). وبـين عـامي (١٩١٣ و ١٩١٨م) التحـق بـدار المعلّمين، وعرف بنشاطاته في الأوساط الطّلابيّة، وشارك في نضالاتهم.

في العام (١٩١٧م) نشر (ماو) إعلاناً في إحدى الصّحف دعا فيه الطّلاب الذين يُشاطرونه آراءه وتطلّعاته، إلى تأسيس جمعيّة ثقافيّة واجتماعيّة أطلق عليها فيما بعد «جمعيّة المواطنين الجدد». كان يومها (ماو) في الرّابعة والعشرين من عمره، وكان يؤمن بالدّيموقراطيّة الليبراليّة، ويجاهر بعدائه للنّزعة العسكريّة وللإمبرياليّة.

انتقَل (ماو) إلى (بيكين) عام (١٩١٨م)، ثم سافر إلى (شنغهاي) وتعرّف فيها على بعض الماركسيين، واعتنق «الماركسيّة»، ثم عاد إلى (هونان) حيث نشأ، وأسس فيها جمعيّة سمّاها «من أجل هونان عصريّة ومستقلّة ذاتيّاً». كان لـ«البيان الشّيوعيّ» لـ (ماركس) أثر كبير في شخصيّة (ماو)، وكذلك ترك فيه كتاب «الصّراع الطّبقيّ» لـ (كارلْ كاوتسكسي) أثراً مباشراً، هو الآخر، و ذلك بقدر ما تأثّر أيضاً بكتاب (كير كوب) «تاريخ الاشتراكيّة»؛ وكان حصيلة كلّ تلك التّأثيرات أنْ ظهرت ميول (ماو تسي تونغ) إلى «الشّيوعيّة» التي اعتنقها نهائيّاً عام (١٩٢٠م)، فأخذت سيرته الذّاتيّة تقترن بتاريخ الحركة الثّوريّة الصّينيّة.

في عام (١٩٢١م) تمكّن (ماو تسي تونغ) مع أحد عشر شخصاً معه من تكوين «الحزب الشّيوعيّ»، وتحالف هؤلاء الشّيوعيّون مع «الحزب الوطنيّ» بغرض توحيد الصّين. غير أنّ انعدام الثّقة بين «الشّيوعيين» و(تشانغْ كايْ شيكْ) زعيم الحزب الوطنيّ الذي خلّف وراءه (صنْ ياتْ صنْ) في زعامة الحزب الوطنيّ، بعد موته، أدّى إلى قيام الحرب بين المجموعتين.

في عام (١٩٢٥م) حرّك (ماو تسي تونغ) «الثّورة» في الرّيف من (هونانْ) حيث كان قد أرسى قاعدة أول نواة ثوريّة، وحرّك مسيرة قوامها اتّحادات الفلاحين، في أوجِ ما عرف بـ «الحرب الأهليّة الثّوريّة الأولى» بين عامَي (١٩٢٥ و ١٩٢٧م).

كان (ماو) قد وضع في عام (١٩٢٦م) كتابه «تحليل طبقات المجتمع الصّينيّ» الذي أكّد فيه على الطّاقات الثّوريّة لطبقة الفلاحين. في عام (١٩٢٧م) بادر (ماو) إلى بناء جيش ثوريّ بهدف تحرير مناطق من الصّين يصعب على «حزب الشّعب الوطنيّ» (الكومنتانج) [الذي كان صنْ ياتْ صنْ قد أعاد تنظيمه في عام ١٩٢٣م] مهاجمتها والوصول إليها.

اعتمد (ماو) في تكوين جيشه على عمال المناجم والفلاحين. وعندما حاول تنظيم «انتفاضة حصاد الخريف» باءت هذه المحاولة بالفشل، وألقي القبض عليه وتمكّن من الفرار، وأقصي عن اللجنة المركزيّة وعضويّة المكتب السّياسيّ، وجرّد من مسؤوليّاته داخل جهاز «الحزب»، ما اضطرّه للّجوء إلى جبال (جينجانغْ)، حيث أسّس هناك «قاعدة ثوريّة» في تشرين الثّاني – نوفمبر ١٩٢٧م.

قاد (ماو)، مع زعماء شيوعيين آخرين، مجموعات صغيرة إلى مقاطعة (جيانكسْ) عام (١٩٢٨م)، حيث انضمّ إليه (شوْ تِهْ) ورجاله في أيّار – مايو (١٩٢٨)، وبادر (ماو) إلى عمليّة توزيع الأراضي والأسلحة على الفلاحين، جاعلاً من «اتّحادات الفلاحين» أداة الحكم الأولى. وعمد

(ماو) إلى إنشاء «قواعد حمراء» أخرى في المناطق التي يسيطر عليها الجيش بقيادة (شوْ تِهْ)، وجيش (بنجْ تُوْ هويهْ)؛ وأثار انتشار هذه القواعد ردّة فعل عنيفة من قبل (تشيانجْ كايْ شكْ)، وأصبحت محافظة (جيانكسْ) هدف (تشيانجْ) الأول، فحاول تطويق القواعد الثّوريّة وتدميرها خمس مرّات على التّوالي بين الأعوام (١٩٣٠ – ١٩٣٤م)، وقام (تشيانجْ) بسلسلة من الإعدامات الجماعيّة للشّيوعيين.

في عام (١٩٣٤م) قاد (ماو) الشّيوعيين إلى محافظة (شانكسي [شنسي]) في مسيرة تاريخيّة عرفت باسم «المسيرة الكبرى»، أو «المسيرة الطّويلة»، التي بلغ مداها المتّصل مسافة جاوزت (٩٧٠٠) كم، وانتهت بعد سنة كاملة، ووُحِّدت الأحياء من المشتركين فيها تحت قيادة (ماو تسي تونغ).

في عام (١٩٣١م) غزت (اليابان) (منشوريا) و[هي مقاطعة شاسعة، أو منطقة جغرافيّة، في «شمال شرق الصّين» موزّعة تاريخيّاً بين (روسيا) و(الصّين)!]، وفي عام (١٩٣٧م) أعلنت (اليابان) حرباً شاملة ضدّ (الصّين). عندها تحالف الشّيوعيّون بقيادة (ماو تسي تونغ) مع الحزب الوطنيّ الحاكم بقيادة (تشيانجْ كايْ شكْ) لمواجهة الأخطار الخارجيّة، واستمرّ ذلك التّحالف حتّى نهاية الحرب العالميّة الثّانية عام (١٩٤٥م)، ورفض (ماو) أن يكون ذلك التّحالف انصهاراً على صعيدَي القوّات والقيادات. وقاد (ماو تسي تونغ) حرباً لتحرير

البلاد ونشر الشّيوعيّة، وتمكّن الشّيوعيّون عام (١٩٤٥م) من السّيطرة على منطقة يقطنها نحو مئة مليون صينيّ.

نشبت الحرب الأهليّة الصّينيّة بين عامَي (١٩٤٦- ١٩٤٩م) بين الشّيوعيين من جهة و«حكومة الوطنيين» (أنصار تشيانجْ كايْ شكْ في منشوريا)، واضطرّت القوات الشّيوعيّة (جيش التّحرير الشّعبيّ) في بادئ الأمر إلى الانسحاب حتّى (بينان)، ثم ما لبثت أن شنّتْ، بعد ذلك، هجوماً ساحقاً، في أثناء عاميّ (١٩٤٨- ١٩٤٩م)، ونجحت في استرداد (بيكين) و(شنغهاي) و(كانتون)، وتمكّن الشّيوعيّون من السّيطرة على (الصّين) كلّها في تشرين الأول – أكتوبر من عام (١٩٤٩م)، فانسحب «الوطنيّون» إلى جزيرة (فورموزا)، وأعلن (ماو تسي تونغ) من (بيكين) قيام «جمهوريّة الصّين الشّعبيّة».

تمكّن (ماو تسي تونغ) من توحيد (الصّين)، وأسّس مجتمعاً منضبطاً بسرعة لم يتوقّعها «المراقبون».

تعاون (ماو تسي تونغ) عندما تسلّم السّلطة مع «الاتّحاد السّوفييتي»، وساعده «السّوفييت» في تقوية الجيش الصّينيّ، عندما توجّهوا بالمساعدة إلى (كوريا الشّماليّة)، خلال «الحرب الكوريّة» (١٩٥٠- ١٩٥٣م).

وبعد انتهاء الحرب بدأ (ماو) برنامج توسيع الزّراعة والإنتاج الصّناعيّ، مع أنّه فشل في «القفزة الأماميّة العظمى» العاجلة في عام ١٩٥٨م.

في الأعوام بين (١٩٥٤ - ١٩٥٩م) أصبح (ماو تسي تونغ) أميناً عامّاً للحزب الشّيوعيّ الصّينيّ، ورئيساً للجمهوريّة، ورئيساً للحكومة في آنٍ معاً.

في ستّينيات القرن العشرين أطلق (ماو تسي تونغ) البرنامج النّوويّ الصّينيّ، وكان في عام (١٩٥٩م) قد تخلّى عن منصب «الرّئاسة» وتفرّغ لقيادة «الحزب» و«الدّولة».

في عام (١٩٦٦م) أطلق (ماو) شرارة «الثّورة الثّقافيّة الكبرى» في (الصّين)، وأطاح برئيس الجمهوريّة (ليو تشاو شي) وبعدد كبير من القياديين التّقليديين، معتمداً في ذلك على «الجيش الأحمر» و«الحرس الأحمر» الذي تشكّل من ملايين الطّلبة من المدارس العليا والجامعات. وكان (ماو) يهدف من وراء هذه «الثورة» إلى سحق الطّبقة البورجوازيّة التي تغلغلت إلى صفوف «الدّولة» و«الحزب».

لـ (ماو) الكثير من المؤلّفات الاشتراكيّة التي حاول فيها أن يحتكر الحق في تفسير مؤسّسي الماركسيّة - اللّينينيّة، (ماركسْ) و(أنغلز) و(لينين).

يعدُّ (ماو تسي تونغ) من الشّخصيّات السّياسيّة الإشكاليّة في القرن العشرين، وبخاصّة من بين الشّخصيّات التّاريخيّة البارزة في الحركة الشّيوعيّة العالميّة. قرأ الماركسيّة - اللّينينيّة قراءة صينيّة ذاتيّة فكان أنْ عوّل أكثر ما عوّل في جماهيريّة الحزب الشّيوعيّ الصّينيّ على البروليتاريا الفلاحيّة، دون تلك العماليّة، نظراً لما كان عليه وضع الصّين المتأخّر صناعيّاً

في حينه، بينما كانت تشكّل الطّبقة الفلاحيّة العنصر الأهمّ والأكثر في جماهيريّة «الحزب»؛ وكان ذلك بمنزلة افتراق نظريّ، أو تمايز بين الشّيوعيّتين «السّوفييتيّة» و«الصّينيّة»..

حتّى إنّ البعضَ من المفكّرين الماركسيين - اللينينيّين أخذ على (ماو تسي تونغ) أنّه فسّر الماركسيّة على أساس من تعاليم (كونفوشيوس)، إذ أبقى (ماو) على تقديره واحترامه وإجلاله له، حتّى مماته، في الوقت الذي زعم فيه (ماو) أحقّيّته الأولى في احتكار تفسير تعاليم المعلّمين الأوائل في الماركسيّة- اللينينيّة، (ماركسْ) و(إنغلز) و(لينين).

ومهما يكن من هذه الخلافات التّأويليّة للنظريّة الماركسيّة - اللينينيّة، بين الشّيوعيّة السوفييتيّة والشّيوعيّة الصّينيّة، فقد ترك (ماو تسي تونغ) بصمته على الحركة الشّيوعيّة العالميّة، كما تركَ الأثر الأكبر في تاريخ (الصّين) الحديثة والمعاصرة. ونحن يمكننا أن نتتبّع هذا الأثر ببساطة إذا لاحظنا كيف أنّ الزّعيم الصّينيّ التّاريخيّ الكبير قد انتزع (الصّين) من دولة فلاحيّة متخلّفة وفقيرة يرزح فيها المجتمع تحت نظام العبوديّة الإمبراطوريّة، إلى دولة معاصرة زراعيّة وصناعيّة، أخذها بيدها إلى أن وضعها على سكّة الدّول العظمى، وبخاصّة في دخولها النّادي النّووي، صناعيّاً وعسكريّاً، وفي مجالات أخرى أيضاً؛ فكان بذلك أن استحقّ صفات الزّعماء التّاريخيين الذين تحوّلوا ببلدانهم على شساعة زاوية منفرجة كاملة.

ويبقى من اللّافت أن الزّعيم التّاريخيّ (ماو تسي تونغ) قد أنجز الثّورة الشّيوعيّة الكبرى في (الصّين) جنباً إلى جنبٍ مع خوض

(الصّين) الحرب العالميّة الثّانية دفاعاً عن الوطن الذي هدّده الغزو الياباني، فقد بقيت (الصّين) على حرب مع الغازي الياباني منذ ما قبل بداية الحرب العالميّة الثانية من تاريخ يعود إلى عام (١٩٣٧م) ولم تنته هذه «الحرب» إلّا في نهاية الحرب العالميّة الثّانية عام (١٩٤٥م) واندحار دول المحور.

ومع ذلك، استطاع (ماو) قيادة الثّورة في ظروف «الحرب» المدمّرة، إلى الانتصار النّهائيّ عام (١٩٤٩م)..

وفاضت روحه في ٩ سبتمبر/ أيلول ١٩٧٦ .

جواهر لال نهرو

- ٣ -

جواهر لال نهرو

ولد نهرو في ١٤ تشرين الثّاني – نوفمبر عام (١٨٨٩م) لأسرة ثريّة. وفي العام (١٨٩٦م) أمضى ستة أشهر في مدرسة (سانت ماري) للرّهبان، ثم تلقّى بين الأعوام (١٩٠٢ - ١٩٠٤م) تعليماً خاصّاً على يد «الإنكليزيّ» (فيرد نيرن بروكس)؛ وبدءاً من عام (١٩٠٥م) أرسلته أسرته إلى (بريطانيا) ليدرس القانون، فدرس أوّلاً في مدرسة (هارو)، وهي مدرسة مستقلّة للبنين، في (هارو) في (الكابيتول هيل)، تلاها كليّة (ترينيتي) في جامعة (كامبريدج) في عام (١٩٠٧م)، وفي عام (١٩١٠م) حصل على شهادة في القانون من (إنْرِتِمْبِلْ). وبعد أن أنهى دراسته في (بريطانيا) طاف في (أوروبّا) كلّها، إلى أن عاد إلى بلاده (الهند) في العام (١٩١٢م) بعد أن أصبح بعيداً نسبيّاً عن ثقافة بلاده الأصليّة، على عكس زوجته التي بقيت هندوسيّة متديّنة.

في (الهند) لم يَمِلْ (نهرو) إلى العمل المهنيّ، واتّجه إلى السياسة، وحضر لأوّل مرّة جلسةً للكونغرس في عام (١٩١٢م)؛ وفي عام (١٩١٦م) قابل (نهرو) (غاندي) لأول مرّة وأعجب به، ثمّ تتلمذ عليه سياسيّاً ودينيّاً،

وأصبح مواظباً على دروس وواجبات «اليوغا» وقراءة الكتب الهندوسيّة المقدّسة، ونبذ الملابس الأوروبيّة وارتدى الملابس الهنديّة، وأقنع والده وبقيّة الأسرة أن يفعلوا ذلك، على رغم أنّ والده كان من المعارضين لـ (غاندي)، فقد كان يؤمن، على عكس (غاندي)، بأن يكون استقلال (الهند) جزئيّاً.

وفي العام (١٩١٦م) تزوّج من (كمالا كاول)، وفي عام (١٩١٨م) أنجبت له طفلته (أنديرا) التي ستصبح لاحقاً (أنديرا غاندي) رئيسة وزراء الهند.

وعلى رغم علاقته المتينة بـ (غاندي)، لم يكنْ (نهرو) متعصّباً للهندوسيّة، وعلى العكس، كانت لديه ميولٌ صريحةٌ إلى الأفكار الاشتراكيّة.

في عام (١٩١٩م) انضمّ (نهرو) إلى حزب (غاندي) «سيتاجرا صبحهْ»، وفي عام (١٩٢٠م) اشترك في «حركة عدم التّعاون»؛ إذ سيصبح لاحقاً شريكاً مؤسّساً في «حركة عدم الانحياز» لكلّ من (جمال عبد النّاصر) و(سوكارنو) و(تيتو).

إبَّان العامين (١٠٢٤ - ١٩٢٥م) أصبح (نهرو) سكرتيراً عامّاً للَجنة «مؤتمر عموم الهند»، وفي العام (١٩٢٧م) انتُخِب (نهرو) العضوَ التّاسع في اللجنة التّنفيذيّة لمؤتمر «الجنسيّات المضطهدة» في (بروكسل)، وفي العام نفسه حضر الاحتفال بالذّكرى العاشرة لثورة أكتوبر الرّوسيّة الاشتراكيّة، في (موسكو).

شارك (نهرو) في الاحتجاجات على لجنة (سايمون) [وهي لجنة التّحقيق البرلمانيّة التي شكّلت بقرار من اللورد بيركينهيد الإنكليزي، «وزير دولة الهند» في بريطانيا، والتي عهد إليها برئاسة السّير (جون سيمون) دراسة وضع الهند السّياسيّ وإبداء الرّأي في إمكان تعديل نظامها الدّستوريّ. ومن اللّافت أنّ هذه اللجنة لم تكن تحتوي في أعضائها على أيّ عضو هنديّ! هذا، وقد رفضها قرار مؤتمر عموم الهند، وقوبلت عند وصولها بمظاهرات جماهيريّة رافضة لها] وتعرّض في أثناء ذلك للضّرب بالهراوات من الشّرطة، فقد شارك نهرو في المظاهرات التي عمّت الهند احتجاجاً على وصول «لجنة سيمون» في ٣٠ تشرين الثّاني – نوفمبر من عام (١٩٢٨م)، وكانت تجربة له قاسية، يرويها بنفسه على النّحو التّالي:

«لقد وصلَ الفرسانُ بسرعةٍ تقريباً إلى الصفوف الأولى من موكبنا. ونحن صمَدْنا؛ فأمامَ هذا الجمع المحتشد الذي لا يتراجع، شبَّت الخيولُ، بعدَ أنْ توقَّفَت في اللحظة الأخيرة، فأصبحَتْ حوافرُها تضرب الهواءَ فوق رؤوسنا. بعد ذلك، أخذَت الضرباتُ تنهالُ علينا كالمطر، بالهراوات وبعِصِيِّ اللَّثي lathis، حيث اجتمع علينا عناصر الشرطة بين راجلٍ وفارسٍ موحِّدين جهودَهم ضدنا. كان ذلك وابلاً مروِّعاً من الضربات. (...) وأصابتني الحُمَّى في الحال، فشعرتُ عندئذٍ بنفسي محطَّماً من الألم ومتعَباً بصورة فظيعة. كانت الكَدَماتُ والرُّضوضُ تغطِّي جسمي؛ وكان كلُّ بدني يؤلمني»

«كان الرُّقَباءُ الأوروبيون هم الأكثر حَنَقاً وغيظاً؛ وكان مرؤوسوهم من الهنود يَبْدون ألطفَ، ولكنْ عندما أعود فأرى تلك الوجوه المليئة بالكراهية، المتعطِّشة للدماء، التي تكاد تكونْ وجوهَ مجانين، دون أدنى أثرٍ للرحمة وللإنسانية....! من المرجَّح أنْ تُقرأَ الكراهيةُ على وجوهنا أيضاً في ذلك الحين؛ لم تكنْ سلبيَّتُنا تعني بالتأكيد أنَّ قلوبنا تفيض محبةً تجاه الخصم أو أنَّ قَسَماتِنا تشعُّ جَمالاً ».

في عام (١٩٢٩م) انتخب (نهرو) رئيساً للجنة مؤتمر عموم الهند، ليترأس جلسة (لاهور) عاصمة (البنجاب)؛ وفي عام (١٩٣٠م) شارك في حركة العصيان المدنيّ الذي نُظّم من أجل استقلال الهند، وكان يعود الفضل في ذلك «العصيان» إلى (غاندي) في تمرّد منظّم لتحدّي «الإمبراطورية» علناً، ومع ذلك لم تكن استراتيجيّة دقيقة قد حُدّدت من أجل ذلك. وقد حلّل (نهرو) الوضع الجديد الذي أوجدته قرارات مؤتمر (لاهور) على النّحو التّالي:

«لقد بدأَت الآلةُ تعمل؛ لكننا كنا ما نزال في الظلام، ولا نعرف بالضبط متى نبدأ ولا من أين نبدأ. لقد كانت اللجنةُ المركزية تمتلك تفويضاً مطلقاً [كارت بلانش] لوضع خطط الحملة أو تنفيذها. إلّا أنَّ كلَّ فردٍ كان يَعْلَم أنَّ القرار الحقيقي يعود إلى غاندي جي. (...) وكنا رغمَ ذلكَ مستمرِّين في عدم معرفة المكان الذي كنا نذهب إليه. فعلى الرغم من الحماس الذي جرت فيه الجلسةُ، لا أحد كان يستطيع أنْ يقول كيف ستتصرف البلادُ أمام برنامج ناشط. كنا قد احتلَلْنا الجسورَ دون أملٍ بالانسحاب، ولكننا كنا نتقدَّم نحو بلد مجهول».

في عام (١٩٤٢م) قُبض على (نهرو) إبّان نشاطات «حركة ارحلوا عن الهند»؛ وفي عام (١٩٤٧م) وفي ١٥ من آب- أغسطس، منح (نهرو) شرفاً فريداً ورفيعاً برفع علم الاستقلال في الهند المستقلّة، في (نيودلهي) عندما حصلت (الهند) على الاستقلال؛ وعُيِّن أوّل رئيس للوزراء في الحكومة المؤقّتة، ومفوّضاً رئيسياً في المؤتمر القوميّ الهنديّ، ثمّ انتُخِب أوّل رئيس للوزراء في (الهند) بعد الاستقلال.

توفّي (نهرو) في ٢٧ أيّار –مايو عام ١٩٦٤م.

شهدت (الهند) في عهد الزّعيم (جواهر لال نهرو) تطورات حضاريّة سريعة، فقد أسّس العديد من المنشآت العلميّة كمؤسّسات الهند للعلوم الطّبيّة، والمؤسّسات الهنديّة للتّكنولوجيا، وله إسهامات باقية في إرساء معالم «الدّيموقراطيّة البرلمانيّة»، والعلمانيّة والليبراليّة بما يتناسب مع تعدد الشّعوب والقوميّات والأديان الهندية المختلفة.

أولى (نهرو) اهتمامات خاصّة تشريعيّة وتنظيميّة وإداريّة في مجال الاهتمام بالفقراء والمحرومين في (الهند)، وأصبحت سيرته وأعماله ومؤلّفاته السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، مراجع استرشاديّة في صناعة وصياغة السّياسات التي ما زالت تؤثّر في الاتّجاهات الرّئيسة والاستراتيجيّة لتوجّهات (الهند) العامّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسّياسيّة والدّوليّة حتّى اليوم. وقد كان لمدّة ولايته الطّويلة أثر في استقرار الاستراتيجيّات العامّة في سياسات (الهند) الدّاخليّة والخارجيّة على السّواء.

قليلون هم الذين يعرفون حجم الزّعيم والمناضل الكبير من أجل استقلال (الهند) وتحرّرها من الاستعمار الإنكليزيّ (جواهر لالْ نهرو).

وكذلك، قليلون هم الذين يعرفون ذلك الاقتران النّضاليّ بين مخلّص (الهند) (غاندي) وبين (جواهر لالْ نهرو) أبي (الهند) الحديثة، حتّى إنّنا يمكن لنا القول إنَّ درجة عالية من التّلازم النّضاليّ النّادر في التّاريخ هي التي جمعت بين «المعلّم» (غاندي) والمُريد (نهرو)، في قضيّة هي من أقدس وأعظم وأجلّ القضايا المصيريّة الإنسانيّة، وهي التّحرّر من الاستعمار الأجنبيّ.

جوزيف بروز تيتو

-٤-

جوزيف بروز تيتو

ولد جوزيف بروز (تيتو) في السّابع من أيّار –مايو عام (١٨٩٢م)، في (كومروفيتش) وهي إحدى القرى «الكرواتيّة» القريبة من (زغرب)؛ وكانت بلاده، يومها، خاضعة لحكم إمبراطوريّة (النّمسا والمَجر). كان (تيتو) الابن السّابع لأسرة فقيرة كادحة [أبٌ كرواتيّ وأمّ سلوفينيّة]، وكان والده «صانع أقفال».

عمل (تيتو)، كغيره من أبناء القرية، في أعمال ومهن مختلفة من راعٍ إلى خادم. وفي عام (١٩٠٧م) انتقل من الرّيف إلى المدينة وعمل أجيراً في أحد المعامل في (سيساك)، ثمّ عاملاً في المطاعم، إسهاماً منه في إعالة أسرة والده الكبيرة. لم تُتح له الفرصة للالتحاق بإحدى المدارس الرّسميّة، لذلك عوّض تأخّره بالتحاقه بإحدى المدارس الليليّة التي تلقّى فيها علومه الأولى.

في عام (١٩١٠م) انتسب (تيتو) إلى «حزب العمّال الاشتراكيّ الدّيموقراطيّ الكرواتيّ».

في الفترة مابين (١٩١١- ١٩١٣م) عمل من جديد عاملاً في مصنع في (تيتان)، ثمّ سائقاً في شركة (ديمْلر).

في خريف (١٩١٣م) جُنِّد (تيتو) برتبة «رقيب» في الفوج «الكرواتيّ» التّابع للجيش «النّمساوي- المجري»، وحاز «الميداليّة الفضّيّة».

عند اندلاع «الحرب العالميّة الأولى» أُرسل إلى (بودابست)، ثمّ إلى (رومانيا)، وشارك، إلى جانب والده.. في هذه الحرب، ولكنّه اعتقل وسجن في حصن (بتروفارادين)؛

وفي كانون الثّاني - يناير عام (١٩١٥م) أُرسل إلى الجبهة الشّرقيّة للقتال ضدّ الرّوس، وبفضل شجاعته كُرِّم بالميداليّة الذّهبيّة، ثمَّ أصيب إصابة خطرة في إحدى المعارك، فأسرته القوّات الرّوسيّة.

بعد ١٣ شهراً من البقاء في المستشفى أُرسل (تيتو) إلى معسكر للأعمال الشّاقة في جبال «الأورال»، واختاره السّجناء زعيماً لهم؛ وعند اندلاع «الثّورة البلشفيّة» في العام (١٩١٧م) أُقتُحم السّجن وحُرِّر السّجناء؛ وعند إطلاق سراحه انضمّ (تيتو) إلى «البلاشفة» (الشّيوعيّون اللينينيّون الرّوس)، لكنْ أُلقيَ القبض عليه، ثمّ ما لبث أنْ تمكّن من الفرار وشارك في إحدى المظاهرات في (بطرسبورغ).

في ١٧ تموز - يوليو من العام (١٩١٧م) اعتُقل في أثناء سفره إلى (فنلندا)، وسجن في حصن (بول بيتر) لمدّة ثلاثة أسابيع، ثمَّ نُفي بعدها إلى (كونغور)؛ وفي أثناء الطّريق قفز بنفسه من القطار وهرب واختبأ عند أسرة روسيّة في (أومسك) في (سيبيريا)؛ وهناك انضمّ (تيتو) إلى صفوف «الحزب الشّيوعيّ السّوفييتيّ»، وعمل في صفوف «الجيش الأحمر».

في كانون الثاني - يناير من عام (١٩٢٠م) قرّر العودة إلى (يوغسلافيا) حيث انضمّ إلى صفوف «الحزب الشّيوعيّ اليوغسلافيّ».

كانت تلك التّجربة الفريدة والمعقّدة، بالنّسبة إليه، محطّة أولى على طريق النّضال من أجل مستقبل بلاده.

في غضون ذلك كان (تيتو) قد حمل أفكار «ثورة أكتوبر» السّوفييتيّة، إبّان أسره، متأثّراً، بخاصّة، بأهدافها في الحرّيّة والمساواة بعيداً عن العصبيّات القوميّة والدّينيّة والعرقيّة، وقد خبر عن كثب مشكلات مجتمعه وتطلّعاته، فنذر نفسه لتحقيق آماله، وفي المقدّمة توحيد بلاده ورفع مكانتها بين دول العالم.

في العام (١٩٢٨م) اتُّهم (تيتو) بالتآمر على النّظام الملكيّ في بلاده، وزُجّ به في السّجن حتّى عام (١٩٣٤م)، ولكنّ السّجن لم يحدّ من طموحه أو يفتّ من عضده.

في العام (١٩٣٤م) انتخب (تيتو) عضواً في اللجنة المركزيّة والمكتب السّياسيّ للحزب الشّيوعيّ اليوغسلافيّ.

في ما بين (١٩٣٥ - ١٩٣٦م) عمل، في موسكو، عضواً في «الحركة الشّيوعيّة العالميّة»، وعاد إلى (يوغسلافيا) في العام (١٩٣٧م) وترأس الحزب الشّيوعي اليوغسلافيّ في بلاده.

شارك (تيتو) في «الحرب الأهليّة الإسبانية» (١٩٣٦ - ١٩٣٩م) ضدّ دكتاتوريّة (فرانكو).

في الحرب العالميّة الثّانية، ولـمّا احتلّت القوات الألمانيّة بلاده، قاد (تيتو) بين عامَي (١٩٤١ - ١٩٤٥م) حرب عصابات كبرى رئيساً لـ «المقاومة اليوغسلافيّة» ضدّ الاحتلال «النّازيّ»، في الوقت الذي كانت فيه هذه المقاومة (اليوغسلافيّة) أكثر الفصائل العسكريّة نشاطاً في (أوروبّا) المحتلّة في مواجهة «النّازيّة»؛ وقد تميّز في أثنائها (تيتو) بالجرأة والشّجاعة النّادرتين.

عندما انتهت «الحرب العالميّة الثّانية» باندحار الألمان ورحيلهم من البلاد، وبطرد الملك اليوغسلافيّ (بطرس)، مُنح (تيتو) لقب (مارشال)؛ وشغل حتّى عام (١٩٥٢م) منصب رئيس لجنة الدّفاع القوميّ اليوغسلافيّ، وتقلّد منصب رئيس الوزراء بعد نجاحه في حلّ المشكلات والخلافات العرقيّة في (يوغسلافيا)؛ وفي عام (١٩٥٣م) انتُخبَ رئيساً لجمهوريّة (يوغسلافيا الاتّحاديّة)، كما شغل في الوقت نفسه منصب رئيس البرلمان اليوغسلافيّ («فينسا»)، ورئيس «اتّحاد العمل الاشتراكي الشّعبيّ اليوغسلافيّ».

وفي عام (١٩٦٦م) انتُخب أميناً عامّاً للحزب الشّيوعيّ اليوغسلافي، وقائداً عامّاً للجيش والقوّات المسلّحة اليوغسلافيّة حتّى وفاته عام (١٩٨٠م).

مُنح (جوزيف بروز تيتو) وسام «بطل الاتّحاد اليوغسلافيّ» ثلاث مرّات في الأعوام (١٩٤٤م) و(١٩٧٢م) و(١٩٧٧م).

كان لـ (تيتو) أثر بالغٌ وكبير في تاريخ (الاتّحاد اليوغسلافي [يوغسلافيا]) الحديث والمعاصر. فهو لم يوقفْ الفتن العرقيّة والقوميّة والدّينيّة، فقط، بل ونقل بلاده من مرحلة التّشتّت والتّخلّف إلى مرحلة التّقدّم والاستقرار، متابعاً ذلك بمنح بلده القدرة على دعم ومساندة حركات التّحرّر العالميّة.

لم يكن النّهج الاشتراكيّ الذي سلكه (تيتو) تقليداً لأيّ «نمط» اشتراكيّ أو شيوعيّ آخر أو تابعاً للآخرين، وإنّما اصطبغ أنموذجه بطابع وطنيّ بعيداً عن الأشكال والنّظريّات الجاهزة، وبما ينسجم ويتوافق مع طبيعة ومصالح المجتمع اليوغسلافيّ وأهدافه القوميّة.

وكان لـ (ستالين) ردّة فعلِهِ إزاء هذه الاستقلاليّة اليوغسلافيّة، إذ قام بطرد (يوغسلافيا) من منظّمة «الكومنترن» (أو الأمميّة الثالثة) التي كانت تمثيلاً لاتحاد الأحزاب الشّيوعيّة العالميّة تحت «المظلّة السّوفييتيّة».

ومن جهته وقف (جوزيف بروز تيتو) موقفاً مناوئاً للسّياسات السّتالينيّة..، ونادى بتعدّد الطّرق في الوصول إلى الاشتراكيّة. وهكذا واصل (تيتو) في سياسته الرّامية، أوّلاً، إلى تحقيق أهداف بلاده في الدّرجة الأولى، والمرتبطة ارتباطاً مباشراً ووثيقاً بمصلحة بلاده، وثانياً في التّعايش السّلميّ بين الأمم والشّعوب والأنظمة المختلفة في العالم.

وعرفت هذه الرّؤية السّياسيّة بالـ«تيتويّة» نسبة إلى (تيتو)، في الوقت الذي استخدمها «السّوفييت» (السّتالينيّة) لنعت «الشّيوعيّة اليوغسلافيّة» بالرّجعيّة. ومع أنّ العلاقات «السّوفييتيّة - اليوغسلافيّة» تحسّنتْ وصارتْ أفضلَ بعد رحيل (ستالين)، إلّا أنّ سياسة (تيتو) بقيتْ مستقلّة عن «الاتّحاد السّوفييتيّ»، مستغلّاً حقائق «الأمر الواقع» في توازن القوى في (أوروبّا) والعالم، إذ كان من نتائج هذه «السّياسة»، ذلك اللقاء مع الزّعيمين (جواهر لالْ نهرو) و(جمال عبد النّاصر)، والذي شكّل «النّواةَ» التاريخيّة لقيام «حركة عدم الانحياز»، فيما بعد، التي أسهمت في صناعة سياسة «الحياد الإيجابيّ» التي تبنّاها هؤلاء الزّعماء، وفي مقدّمهم (جوزيف بروز تيتو).

ورغم أن (يوغسلافيا) في عهد الزّعيم (تيتو) كانتْ أكثر الدّول الشّيوعيّة انفتاحاً على العالم وعلى الغرب أيضاً، فإنّ ذلك لم يمنعها من قطع علاقاتها مع (تشيلّي) الدّكتاتوريّة، إثر إعدام المناضل الشّيوعيّ العالميّ (سلفادور ألّندي)، مؤكّدة في ذلك مبدئيّتها في قضايا العدالة في العالم.

في عام (١٩٥٥م) عُقد في (أندونيسيا) «مؤتمر (باندونغ)، وشارك فيه الزّعماء الكبار (جمال عبد النّاصر) و(جواهر لالْ نهرو) و(جوزيف بروز تيتو)، وكان هذا «اللقاء» بمنزلة «المؤتمر التّمهيديّ» للمؤتمر الأوّل «التّأسيسيّ» لحركة «عدم الانحياز»، الذي سيُعقد لاحقاً، بعد ستة أعوام، في (بلغراد [يوغسلافيا]) في العام (١٩٦١م) والذي سيعدُّ، تاريخيّاً، (تيتو) مؤسّساً لتلك «الحركة» في مرحلة من أعقد مراحل الظّروف السيّاسيّة الدّوليّة التي كانت تطبع «النّظام العالميّ» بتوتّرات «الحرب الباردة».

ازدهرت (يوغسلافيا) في عهد زعيمها (تيتو)، على الصّعيد الدّاخليّ، في شتّى الحقول والميادين الصّناعيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والعسكريّة والسّياسيّة، وذلك طوال فترة حكم «الزّعيم». ولقد جعل هذا الواقعُ البعضَ يفسّر ذلك بأسباب ذاتيّة تتعلّق بشخصيّة (تيتو)، ما دفعهم إلى توقّع تعرّض هذه «التّجربة» للخطر بعد وفاته، لا سيّما بالنّسبة إلى صراعات النّزعات العرقيّة والقوميّة والإقليميّة والدّينيّة في الوَلايات الاتّحاديّة اليوغسلافيّة، والتي تهدّد بالانفصال والاستقلال. وهذا ما حدث، بعد رحيله، بالفعل!

أمّا في السّياسة الخارجيّة فقد وقف (تيتو) موقفاً صلباً ومبدئيّاً داعماً للحقوق العربيّة، وبخاصّة بالنّسبة إلى قضيّة (فلسطين)، وكان «صديقاً» جريئاً للعرب؛ وينبع موقفه ذاكَ، بطبيعة الحال، من انسجامه مع مبادئه المعروفة في تبنّي حقّ الشّعوب المناضلة في تقرير مصيرها وتحرّرها من كافّة أشكال السّيطرة والتّبعيّة والهيمنة والاستعمار.

رحل (جوزيف بروز تيتو) عن عالمنا في ٤ أيّار – مايو (١٩٨٠م).

هوْشيْ مِنه

-٥-

هوُ شيِ منه

(رائد النّهضة القوميّة في «الهند الصّينيّة» ومؤسّس الدّولة الفيتناميّة)

ولد (هوشي مِنْه) في ١٩ أيّار- مايو عام (١٨٩٠م)، في (كيمْ ليانْ) في مقاطعة (انكي يانْ)، لأسرة فقيرة مُعدمة؛ وكان رفاقه يدعونه «العمّ هوْ اللطيف»، وأمّا اسمه الحقيقيّ فهو (وينْ فانْ كونكْ) ويقال (نيوجنْ شنْ شونجْ)؛ و(هو شي مِنْه) يعني في «الفيتناميّة» «الشّخص ذو الرّوح المشعّة»!

تُوفّيتْ أمّه في العام (١٩٠١م) وهو في الحادية عشرة من عمره.

درس (هوشي منه) تعاليم (كونفوشيوس) وساعدته فطنته على إتقان اللغة الصّينيّة مبكّراً، وكان مولعاً بصيد السّمك وصناعة «الطّيارات الورقيّة».

عندما بلغ (هوشي منه) الحادية والعشرين عام (١٩١١م) ترك (فيتنامْ) وعمل عامل نظافة، ثمّ نادلاً ثمّ مساعدَ طاهٍ.

ويظنّ - تَبَعاً لبعض الرّوايات - أنّـه سـافر قبـل ذلـك إلى (الولايـات المتّحدة) حيث عمل في «الحيّ الصّينيّ» في (نيويورك) ثمّ في (بوسـطن)، في غسل الصّحون. وهناك أجرى الاتّصالات مع القوميين الفيتناميين، وبدأت تتكوّن لديه الأفكار السّياسيّة الثّوريّة.

ويقالُ إنّه انتقـل أوّلاً إلى (فرنـسا) وعـاش في (مرسيليا) في جنـوب فرنسا، ثمّ سافر إلى الولايات المتّحدة، ثمّ إلى (لندن) حيث أقـام فيهـا حتّـى العام (١٩١٤م) وعمل نادلاً وغاسل صحونٍ في الفندق نفـسه الـذي كـان يُقيم فيه (ونستون تشرشلْ)!

بعدها رجع إلى (باريس) وشارك في الحركة الاشتراكيّة الفرنسيّة.

في العام (١٩١٧م) التحق بالحزب الشّيوعيّ الفيتناميّ، وكان عـضواً فاعلاً في الحزب.

عـاد إلى فرنـسا في العـام (١٩٢٠م) وأسـهم في تأسـيس الحـزب الشّيوعيّ الفرنسيّ، فكان عضواً مؤسّساً فيه، حتّى إنّه أصبح ممثّلاً للحـزب الشّيوعيّ الفرنسيّ في المؤتمرات الدّوليّة، وأسّس «لجنة مكافحـة الاسـتعمار» داخل «الحزب».

في هذه الأثناء عمل بائعاً للـصّحف في (بـاريس)، وأصـدر صـحيفة «لوباريـا» (المنبـوذ، أو المـشرّد) وقـد عـرّتْ صـحيفته سياسـة الاسـتغلال والاضـطهاد التـي تمارسـها الإمبرياليّـة الفرنـسيّة بحـقّ الـشّعوب التـي تستعمرها، ولقيت «الجريدة» رواجاً في (فرنسا) وفي مـستعمراتها في (الهنـد

الصّينيّة)؛ كما كان في الوقت ذاته يكتب مقالات صحفيّة في صحيفة (لومانتيه) النّاطقة بلسان «الحزب الشّيوعيّ الفرنسيّ»، كما ألّف كتاباً بعنوان «الاستعمار الفرنسيّ تحت المجهر» عام (١٩٢٥م).

في العام (١٩٢٣م) انتقل إلى (موسكو) ودرس «الأساليب الثّوريّة» في (موسكو)، ثمّ انتقل في العام (١٩٢٥م) إلى مدينة (كوانكجو) في (الصّين)، وفي عام (١٩٣٠م) استقر في (هونغ كونغ). وهناك طاردته السّلطات الفرنسيّة بسبب أنشطته الثّوريّة ودعواته إلى إنهاء الاستعمار، ما اضطرّه إلى التّخفّي في الغابات؛ ولكنّ البريطانيين ألقوا القبض عليه وسجنوه، ولكنّه تمكّن من الهرب.

[ويروي البعض رواية أخرى مختلفة، تقول إنّه توجّه في العام (١٩٢٣م) إلى (الصّين) مباشرة، وعاش فيها حتّى عام (١٩٣٨م)، ليعود إلى (فيتنام) مع نشوب الحرب العالميّة الثّانية].

في أثناء الحرب العالميّة الثّانية، وبالتّحديد في عام (١٩٤٠م) دخلت (اليابان) الحرب ضدّ (فرنسا) فاحتلّت (فيتنام) وبسطت نفوذها على حساب الفرنسيين. وعندما كان (هوشي منه) قد عاد إلى (فيتنام) مع بداية الحرب العالميّة الثّانية، قام بتنظيم حركة الاستقلال الفيتناميّة، فجمع جيشاً شعبيّاً مكوناً من (١٠) آلاف مقاتلٍ لمحاربة اليابانيين، أغلبهم من «الشّيوعيين»، وبعضهم من القوميين والوطنيين الذين انضمّوا إلى «جيش التّحرير» بقيادة (هوشي منه) الذي أعلن «الثورة» ضدّ المحتلّ الفرنسيّ-

اليابانيّ، وخاض حرباً شرسة بأسلوب «حرب العصابات»، مكبّداً الفرنسيين واليابانيين خسائر فادحة، رغم ضعف التّسلّح، وكانت المخابرات الأمريكيّة قد تكفّلت بدعم الثّوار الفيتناميين.

خاض (هوشي منه) الحرب مستفيداً من خبرة الصّينيين في «حرب العصابات»، إذ كان قد ترجم الكتب الصّينيّة، حول هذا الموضوع، إلى اللغة الفيتناميّة.

دخل (هوشي منه) (الصّين) في العام (١٩٤٢م) فاعتقلته قوّات (تشانْ كاي شيكْ) [قوّات «الحزب الوطني الصّيني» الذي كان على خلاف وعداء مع «الحزب الشّيوعي الصّيني» بقيادة (ماو تسي تونغ)، ولو أنّ الحزبين كانا على هدنة وتعاون لقتال اليابانيين في أثناء حرب التّحرير في الحرب العالميّة الثّانية]..، اعتقلته لمدّة سنة كاملة، فأصيب في السّجن بهُزالٍ، فيما ألّف – مع ذلك- كتابه «يوميّات السّجن»، وهو كتاب يحتوي على أكثر من مئة قصيدة من الشّعر.

في أيلول – سبتمبر من العام نفسه (١٩٤٢م) أطلق سراحه، وكانت الحرب ضدّ (اليابان) و(فرنسا) في أشدّها، فعاد إلى فيتنام وواصل نضاله السّياسيّ والعسكريّ ضدّ اليابانيين الذين خسروا الحرب العالمية الثّانية في ١٤ من آب – أغسطس عام (١٩٤٥م).

وكان منذ أيّار – مايو من عام (١٩٤٥م) بدأ الجيش اليابانيّ بالتّقهقر، واستولى الفيتناميّون على (هانوي) وجعلوها عاصمة لهم.

في الثاني من أيلول – سبتمبر (١٩٤٥م) أُعلن يوم توقيع اليابان على اتّفاقيّة الاستسلام، يوماً لاستقلال (فيتنام)، وأعلن (هوشي منه) ولادة (جمهوريّة فيتنام الدّيموقراطيّة).

أغضبَ إعلان (هوشي منه) قرار الاستقلال، الفرنسيين الذين أعلنوا الأحكام العرفيّة، وسادت الفوضى فيتنام. ووسط هذه الظّروف الصّعبة المعقّدة انتهز (تشان كايْ شيكْ) [المذكور سابقاً والمعروف بعدائه للشّيوعيّة] الفرصة فقام بإرسال (٢٠٠) ألف مقاتل من «جيشه» إلى (فيتنام) لاحتلالها والقضاء على الشّيوعيين.

وهنا لم يكن أمام (هوشي منه) لتفادي جيش (كاي شيك)، غير الانصياع لشروط (فرنسا) التي تعهّدت ساعتها بحماية (فيتنام) واستقلالها بشرط أن تبقى تابعة للحكم الفرنسيّ بشكل غير مباشر.

وافق (هوشي منه) لإدراكه أنّه قادرٌ على طرد الفرنسيين من (فيتنام)، كما طردهم سابقاً، وإن كان يوجد تحالف مؤقّت بين الطّرفين، ولكنّه «الآن» غير قادر على مجابهة «الجيش الصّينيّ» بسبب التّفوّق العدديّ الهائل.

وأمّا في الحقيقة، فقد كان الوضع أكثر تعقيداً من هذه الرّواية المتسلسلة، وذلك وفاقَ رواية أيضاً شهيرة، وتكاد تكون أكثر شهرة من الرّواية السّابقة، وذلك كما يلي:

فبعد أن وقّعت «اتّفاقيّة بوتسدام» حول المشكلة الفيتناميّة واستسلام اليابان، وحلول البريطانيين مكان اليابانيين في جنوب خط عرض (١٦) واحتفاظ (هوشي منه) بالمناطق الشّماليّة لخط العرض المذكور، حيث تمركز (هو شي منه) في الشّمال بتأييد من القوات الصّينيّة الشّيوعيّة (ماو تسي تونغ)

[فقد كانت في هذه الأثناء في هدنة وتحالف مرحليّ تكتيكي مع قوات «الحزب الوطني» بقيادة (كاي شيك)]، وتمكّن (هوشي منه) مع دعم قوات (ماو تسي تونغ) من إعلان (هانوي) عاصمة له؛ فإنّه في هذه الأثناء بالضّبط قامت بريطانيا بالتّخلّي عن مواقعها في «المنطقة الوسطى» و«الجنوبيّة» (جنوب خط عرض ١٦)، وسلّمتها للفرنسيين الذين بدؤوا بابتزاز (هوشي منه) أمام هجوم «القوّات الصّينيّة الوطنيّة» (عدوة ماو تسي تونغ) بقيادة عدو الشّيوعيين الكبير (تشان كاي شيك).

والمهمّ أن (هوشي منه) قد أصبح الآن وجهاً لوجه أمام الفرنسيين.

خاض (هو شي منه) معارك عنيفة لإجبار الفرنسيين على الانسحاب وكانت هذه المعارك التي امتازت بحرب العصابات بقيادة القائد العسكري (جياب) مرهقة ومكلفة للقوات الفرنسية المستعمرة.

في عام (١٩٤٩م) أقيمت جبهة معادية للاستعمار الفرنسي في فيتنام قوامها (هو شي منه) و(ماو تسي تونج) و(الباتيت لا) الذي كان يقود النضال العسكري ضد فرنسا في لاووس، إزاء هذا الحلف

الثلاثي أقرت (فرنسا) بهزيمتها العسكرية في (فيتنام) وأعلنت استقلال (فيتنام) و(لاووس) و(كمبوديا) وعينت (باوداي) إمبراطور (ألانام) رئيساً لفيتنام من أجل مواجهة الفيتناميين بعضهم للبعض الآخر. فهناك أيضاً قوات و«حكومة فيتنامية» عميلة للفرنسيين في الجنوب وقوات و«حكومة فيتنامية» مستقلة مدعومة من (الصين) في الشمال بقيادة (هو شي منه).

استطاعت (فرنسا) أن تصور الحرب في (فيتنام) أنّها حرب داخلية «أهلية» ذات طابع دوليّ لتطلب من (الولايات المتحدة) المساعدة العسكرية، وخصوصاً أن الأمريكيين كانوا ينظرون بقلق إلى نمو وتصاعد المدّ الشيوعي في «الهند الصينية» مترافقاً مع إعلان الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣).

أقلق هذا الأمر الولايات المتحدة، خصوصاً بعد تنامي النفوذ الشيوعي في الجنوب وقيام الزعيم الفيتنامي الجنوبي (ديم) بعقد مفاوضات مع (هو شي منه) لتوحيد فيتنام.

ولم يَرُق هذا الأمر للولايات المتحدة، فقامت باغتيال الزعيم الفيتنامي الجنوبي في ٢ نوفمبر (١٩٦٣م)، ثمّ تذرعت بمختلف الحجج من أجل القيام بتدخل عسكري للقضاء على الحكم الشيوعي في شمال (فيتنام).

بدأت (الولايات المتحدة) بقصف شامل واسع النطاق على أراضي «الشمال الفيتناميّ»، وكانت مرغمة على القيام بتدخل

عسكري بسبب توغل الشيوعيين إلى أعماق «الجنوب»، وارتكبت جرائم عديدة ضد الفيتناميين .

كانت القوّات الأمريكية تقصف القرى الفيتنامية بالمدافع، فضلاً عن قصف المدن والقرى بالنابالم الحارق، وقامت بالعديد من المجازر ضد المدنيين، فقد بلغت المجازر التي ارتكبتها القوات الأميركيّة (٣٦٠) مجزرة موثقة في (فيتنام)، منها مجزرة (ماي لاي) التي راح ضحيتها (٥٠٤) من الفلاحين الفيتناميين؛ وقام سلاح الجو الأمريكيّ برش أطنان من المواد السامة على الأراضي الفيتنامية ما أدى إلى ولادة مئات ألوف الأجنة المشوهة.

ولم تقتصر الانتهاكات الأمريكيّة على (فيتنام) الشّماليّة. ففي (فيتنام) الجنوبية، الموالية للولايات المتحدة أيضاً، فرض الأمريكيّون حكماً بوليسياً، وسجنوا وأعدموا الآلاف لمجرد الاشتباه بانتمائهم للشيوعية.

لم تعلم دول العالم بانتهاكات الولايات المتحدة إلا بعد فضح «قضية جندي الشتاء» [وهي فضيحة لأساليب التّعذيب الأمريكيّة، بتقنية متوحّشة تقوم على التهجّم على الأسير الفيتناميّ بمنشفة مبللة ومياه لجعله يشعر بالغرق والاختناق] التي هزّت العالم، ولفتت الأنظار إلى الفظائع التي يرتكبها الجيش الأمريكي في (فيتنام) .

ورغم ذلك، لم يستسلم الثوار الفيتناميون وقاوموا الغزو الأمريكي بشراسة؛ وكان (هوشي منه) يلقي الخطب الحماسية، ويضع الخطط

العسكرية بالتعاون مع الجنرال الأسطورة (جياب) [وهو الجنرال (فو نجوين جياب) العسكري والسياسي الفيتنامي، والضابط السابق في الجيش الشعبي الفيتنامي، ويُعدّ من أهم شخصيات حرب فيتنام، وواحداً من أعظم الاستراتيجيين العسكريين في التّاريخ؛ وهو صاحب خطة معركة (ديان بيان فو) التي هزمت فيها فرنسا في ٧ حزيران - يونيو ١٩٥٤]؛ وكانت المليشيات الشيوعية تهاجم الجيش الأمريكي في الأدغال وتتجنب المدن خوفاً من القصف الجوي، لكن ذلك لم يمنع حصول معارك في المدن مثل معركة هانوي (١٩٦٨م). وعاش (جياب) «مئة وعامين، من– ١٩١١ - ٢٠١٣ »..

كان أسلوب «الفيتكونغ» (جبهة التّحرير الوطنيّة الفيتناميّة الجنوبيّة، الشّيوعيّة) يقوم على أساس الهجمات الخاطفة في الأدغال، ومن ثم الاختباء في خنادق تحت الأرض [أصحاب خطّة «التّقيّة الشّيوعيّة»: خطوتان إلى الأمام؛ خطوة إلى الوراء].

عند اشتداد الحرب أرسلت الصين ٣٠٠ ألف مقاتل للقتال في جانب «الفيتناميين»؛ وأما «السوفييت» فقد تكفّلوا بالدعم اللوجستي ، ما جعل الكفّة تميل لصالح الفيتناميين، خصوصاً بعد هجوم (تيت) عام (١٩٦٨م)، والذي كان عبارة عن حملة عسكرية كبرى بقيادة الجنرال (جياب) وإشراف (هوشي منه)، قامت بهجوم واسع لدفع القوات الأمريكية إلى خارج الحدود، ما كبّد القوات الأمريكية خسائر فادحة.

في تلك الفترة تدهورت صحة (هو شي منه)، لكنه ظلّ يخاطب الشعب الفيتنامي من «الراديو» ويحثهم على مواصلة القتال حتى تحرير (فيتنام).

وتحت إعصار الإصرار النّضاليّ الفيتناميّ انسحبت (الولايات المتحدة) نهائياً، بعد أن كان هجوم (تيت) قد انتهى عام (١٩٧٥م) بتحرير (سايغون) عاصمة «جنوب فيتنام»، والتي سمّاها الشيوعيون، مباشرة بعد تحريرها النّهائيّ، «مدينة هو شي منه» تخليداً لزعيمهم الراحل (هو شي منه) الذي فارق عالمنا في أيلول عام (١٩٦٩م).

جمال عبد الناصر

-٦-

جمال عبد الناصر

ولد (جمال عبد النّاصر) في ١٥ كانون الثّاني – يناير من عام (١٩١٨م)، في حي (باكوس) الشّعبيّ في (الإسكندريّة)، بمصر، لأسرة من أصول «صعيديّة»، وهو الابن الأكبر لوالديه.

التحق (جمال عبد النّاصر) بروضة الأطفال في (محرّم بك) بالإسكندريّة، ثمّ بالمدرسة الابتدائيّة في (الخطاطبة) في العامين (١٩٢٣ و١٩٢٤م)؛ بعدها انتقل إلى مدرسة «النّحّاسين» الابتدائيّة، بالجماليّة، في القاهرة، في عام (١٩٢٥م)، وأقام في دار عمّه (خليل)، في حيّ شعبيّ مدَّة ثلاث سنوات.

في العام (١٩٢٦م) تُوفّيت والدته في (الإسكندريّة)، فيما كان هو في (القاهرة)، ولم يعلم إلّا حين عاد إلى (الإسكندريّة)، حيث اعتاد أن يقضي عطلته الصّيفيّة؛ وكانت قد تُوفّيت قبل ذلك بأسابيع.

كان لوقع الخبر عليه أثر فظيع، فلقد هزّ كيانه، كما ذكر في لقاء صحفيّ له، مع صحيفة «الصندي تايمز»، إذ قال لمحدّثه:

«لقد كان فقد أمي في حد ذاته أمراً محزناً للغاية، أما فقدها بهذه الطريقة فقد كان صدمة تركت فيَّ شعوراً لا يمحوه الزمن. وقد جعلتني آلامي وأحزاني الخاصة في تلك الفترة أجد مضضاً بالغاً في إنزال الآلام والأحزان بالغير في مستقبل السنين».

بعد أن أتم (جمال) السنة الثالثة في مدرسة «النحاسين» بالقاهرة، أرسله والده في صيف (١٩٢٨م) عند جده لوالدته فقضى السنة الرابعة الابتدائية في مدرسة العطارين بالإسكندرية .

التحق جمال عبد الناصر في عام (١٩٢٩م) بالقسم الداخلي في مدرسة (حلوان) الثانوية وقضى فيها عاماً دراسيّاً واحداً؛ ثم انتقل في العام التالي (١٩٣٠م) إلى مدرسة (رأس التين) الثانوية بالإسكندرية بعد أن انتقل والده إلى العمل في مصلحة البريد هناك .

في تلك «المدرسة» تكوَّن وعي (جمال عبد الناصر) القومي، فقد بدأ نشاطه السياسي حينها، عندما رأى مظاهرة في«ميدان المنشية» بالإسكندرية، فانضمّ إليها دون أن يعلم مطالبها، وقد علم بعد ذلك أن هذا الاحتجاج كان من تنظيم «جمعية مصر الفتاة»، وكان هذا الاحتجاج يندّد بالاستعمار الإنجليزي في (مصر)، وذلك في أعقاب قرار من رئيس الوزراء حينئذ (إسماعيل صدقي) بإلغاء دستور (١٩٢٣م)، وألقي القبض على (عبد الناصر)، واحتجز ليلةً واحدة، قبل أن يخرجه والده.

يتحدّث (جمال عبد الناصر) عن أول مظاهرة اشترك فيها إلى صحيفة «الصندي تايمز»، يقول:

«كنت أعبر ميدان المنشية» في (الإسكندرية) حين وجدت اشتباكاً بين مظاهرة لبعض التلاميذ وبين قوات من البوليس، ولم أتردد في تقرير موقفي؛ فلقد انضممت على الفور إلى المتظاهرين، دون أن أعرف أي شيء عن السبب الذي كانوا يتظاهرون من أجله، ولقد شعرت أنني في غير حاجة إلى سؤال..

«ومرت لحظات سيطرت فيها المظاهرة على الموقف، لكن سرعان ما جاءت إلى المكان الإمدادات؛ حمولة «لوريين» من رجال البوليس لتعزيز القوة، وهجمت علينا جماعتهم، وإني لأذكر أني – في محاولة يائسة – ألقيت حجراً، لكنهم أدركونا في لمح البصر، وحاولت أن أهرب، لكنني حين التفت هوت على رأسي عصا من عصي البوليس، تلتها ضربة ثانية، وحينها سقطت على الأرض، ثم شحنت إلى الحجز والدم يسيل من رأسي مع عدد من الطلبة الذين لم يستطيعوا الإفلات بالسرعة الكافية..

«ولما كنت في قسم البوليس، وأخذوا يعالجون جراح رأسي؛ سألت عن سبب المظاهرة، فعرفت أنها مظاهرة نظمتها «جماعة مصر الفتاة» في ذلك الوقت للاحتجاج على سياسة الحكومة..

«وقد دخلت السجن تلميذاً متحمساً، وخرجت منه مشحوناً بطاقة من الغضب».

في عام (١٩٣٣م) انتقل (جمال عبد النّاصر) إلى القاهرة، وانضمّ إلى والده هناك، والتحق بثانويّة «النّهضة» في حيّ (الظّاهر) بالقاهرة. وهناك

قرأ (جمال عبد النّاصر)، (فولتيرْ) و(روسُوْ)، كما قرأ عن (نابليون) و(الإسكندر)، و(يوليوس قيصر) و(غاندي).

شهد عام (١٩٣٥م) نشاطاً كبيراً للحركة الوطنية المصرية التي لعب فيها الطلبة الدور الأساسي مطالبين بعودة «الدستور»، ويكشف خطاب من (جمال عبد الناصر) إلى صديقه (حسن النشار) في ٤ أيلول - سبتمبر عام (١٩٣٥م) مكنون نفسه في هذه الفترة، فيقول :

«لقد انتقلنا من نور الأمل إلى ظلمة اليأس، ونفضنا بشائر الحياة واستقبلنا غبار الموت، فأين من يقلب كل ذلك رأساً على عقب، ويعيد مصر إلى سيرتها الأولى يوم أن كانت مالكة العالم. أين من يخلق خلفاً جديداً لكي يصبح المصري الخافت الصوت الضعيف الأمل الذي يطرق برأسه ساكناً صابراً على اهتضام حقه، ساهياً عن التلاعب بوطنه، يقظاً عالي الصوت، عظيم الرجاء، رافعاً رأسه يجاهد بشجاعة وجرأة في طلب الاستقلال والحرية... قال مصطفى كامل «لو نقل قلبي من اليسار إلى اليمين أو تحرك الأهرام من مكانه المكين أو تغير مجرى (النيل) فلن أتغير عن المبدأ»... كل ذلك مقدمة طويلة لعمل أطول وأعظم، فقد تكلمنا مرات عدة في عمل يوقظ الأمة من غفوتها، ويضرب على الأوتار الحساسة من القلوب، ويستثير ما كمن في الصدور. ولكن كل ذلك لم يدخل حيز العمل إلى الآن».

في ١٣ تشرين الثّاني - نوفمبر (١٩٣٥م)، قاد (عبد الناصر) مظاهرة طلابية ضد الحكم البريطاني احتجاجاً على البيان الذي أدلى به (صمويل هور) وزير الخارجية البريطاني قبل أربعة أيام، والذي أعلن فيه رفض

(بريطانيا) العودة إلى «الحياة الدستورية» في (مصر)؛ وقُتل اثنان من المتظاهرين، وأصيب (عبد الناصر) بجرح في جبينه. وفي ١٢ ديسمبر، أصدر الملك الجديد (فاروق) قراراً بإعادة الدستور.

وفي كلمة له في جامعة القاهرة في ١٥ تشرين الثّاني - نوفمبر (١٩٥٢م) تحدّث (جمال عبد النّاصر) عن أثر أحداث تلك الفترة في نفسه:

«وقد تركت إصابتي أثراً عزيزاً لا يزال يعلو وجهي فيذكرني كل يوم بالواجب الوطني الملقى على كاهلي كفرد من أبناء هذا الوطن العزيز. ورسخ في نفسي أن عليَّ واجباً أفنى في سبيله أو أكون أحد العاملين في تحقيقه حتى يتحقق؛ وهذا الواجب هو تحرير الوطن من الاستعمار، وتحقيق سيادة الشعب. وتوالى بعد ذلك سقوط الشهداء صرعى؛ فازداد إيماني بالعمل على تحقيق حرية مصر».

كان من نتيجة النشاط السياسي المكثف لـ (جمال عبد الناصر) في هذه الفترة الذي رصدته تقارير «الشّرطة»، أن قررت مدرسة النهضة فصله بتهمة تحريضه الطلبة على «الثورة»، إلا أن زملاءه ثاروا وأعلنوا الإضراب العام وهدّدوا بحرق المدرسة فتراجع ناظر المدرسة عن قراره.

بدأ «الوعي القوميّ العربيّ» يتسلّل إلى تفكير (جمال عبد النّاصر) في تلك الفترة. فكان يخرج مع زملائه كل عام في الثاني من شهر تشرين الثّاني - نوفمبر احتجاجاً على وعد «بلفور» الذي منحت بموجبه (بريطانيا) اليهود حقّاً بوطنٍ «قوميّ»، في فلسطين على حساب أصحابها الشرعيين.

في عام (١٩٣٦م) تقدّم (جمال عبد النّاصر) بطلب للتّطوّع في «الكلّيّة الحربيّة»، ولكنّه رسب في ما سمّي بـ «كشف الهيئة»، بسبب أصوله الصّعيديّة الفلاحيّة، وكونه ابناً لموظّف بسيط لا يملك شيئاً، وكذلك بسبب اشتراكه في مظاهرات (١٩٣٥)، وأيضاً لأنّه لا يملك «وساطة».

عندها، التحق (عبد النّاصر) بكلّيّة الحقوق، في جامعة (القاهرة)، وبقي فيها ستّة أشهر، إلى أن عقدت معاهدة (١٩٣٦) بين (بريطانيا) و(مصر) واتّجهتِ «النّيّة» إلى زيادة عدد ضبّاط «الجيش المصريّ» للحاجة، وذلك بصرف النّظر عن طبقتهم الاجتماعيّة أو ثرواتهم.

تقدّم (جمال عبد النّاصر) بطلب قبول إلى «الكلّيّة الحربيّة» للمرّة الثّانية، وتمكّن من مقابلة وكيل وزارة الحربيّة اللواء (إبراهيم خيري) الذي أعجب بصراحة (عبد النّاصر) ووطنيّته وإصراره، فوافق على طلبه في الدّورة التّالية في عام (١٩٣٧م).

نظراً لكفاءته واجتهاده ومعرفته وصفاته القياديّة، أصبح عبد النّاصر «رئيس فريق»، وأسندت إليه منذ أوائل عام (١٩٣٨م) مهمّة تأهيل الطّلبة المستجدّين، الذين كان من بينهم (عبد الحكيم عامر).

في تموز – يوليو عام (١٩٣٨م)، تخرّج (جمال عبد النّاصر) في الكلّيّة الحربيّة، أي بعد مرور سبعة عشر شهراً، لسدّ الفراغ الذي تركه انتقال «القوّات البريطانيّة» إلى منطقة «قناة السّويس».

التحق (جمال عبد الناصر) فور تخرجه بسلاح المشاة ونقل إلى (منقباد) في الصّعيد، وقد أتاحت له إقامته هناك أن ينظر بمنظار جديد إلى

أوضاع الفلاحين وبؤسهم. وقد التقى في (منقباد) بكل من زكريا محيي الدين وأنور السادات.

وفي عام (١٩٣٩م) طلب (جمال عبد الناصر) نقله إلى السودان، فخدم في الخرطوم وفي «جبل الأولياء»، وهناك قابل (زكريا محيي الدين) و(عبد الحكيم عامر). وفي أيّار – مايو (١٩٤٠م) رقّي إلى رتبة الملازم أول.

في أثناء (الحرب العالميّة الثّانية)، وفي نهاية عام (١٩٤١م) بينما كان (روميل) يتقدم نحو الحدود المصرية الغربية عاد (جمال عبد الناصر) إلى (مصر)، ونُقل إلى كتيبة بريطانية تعسكر خلف خطوط القتال بالقرب من العلمين.

ويذكر (جمال عبد الناصر):

«في هذه المرحلة رسخت فكرة الثورة في ذهني رسوخاً تاماً، أما السبيل إلى تحقيقها فكانت لا تزال بحاجة إلى دراسة، وكنت يومئذ لا أزال أتحسس طريقي إلى ذلك، وكان معظم جهدي في ذلك الوقت يتجه إلى تجميع عدد كبير من الضباط الشبان الذين أشعر أنهم يؤمنون في قرارتهم بصالح الوطن؛ فبهذا وحده كنا نستطيع أن نتحرك حول محور واحد هو خدمة هذه القضية المشتركة».

في أثناء وجوده في «العلمين» جرت أحداث ٤ شباط – فبراير (١٩٤٢م) حينما توجه السفير البريطاني – «السّير مايلز لامسبون» ليقابل

الملـــك (فـــاروق) في «سراي عابـــدين» في (القـــاهرة) بعـــد أن حـــاصر «القـصر» بالـدبابات البريطانيـة، وسـلّم «الملـك» إنـذاراً يخـيره فيـه بـين إسناد رئاسة الوزراء إلى (مصطفى النحاس) مـع إعطائـه الحـق في تـشكيل مجلس وزراء متعاون مع بريطانيا وبين الخلع، وقد سلّم «الملـك» بالـشّروط بلا قيد ولا شرط.

ويذكر جمال عبد الناصر [في خطاب له إلى صـديقه (حـسن النّـشّار)، بتاريخ ١٦ شباط – فبراير عام (١٩٤٢م)] أنه منذ ذلك التاريخ لم يعد شيء كما كان قط. فكتب يقول:

«وصلني جوابك، والحقيقة أن ما به جعلني أغلي غلياناً مـراً، وكنـت على وشك الانفجار من الغيظ، ولكن مـا العمـل بعـد أن وقعـت الواقعـة وقبلناها مستسلمين خاضعين خائفين. والحقيقـة أنّـي أعتقـد أن الإنجليـز كانوا يلعبون بورقة واحدة في يدهم بغرض التهديد فقط، ولكـن لـو كـانوا أحسوا أن بعض المصريين ينوون التضحية بدمائهم ويقابلون القـوة بـالقوة لانسحبوا كأي امرأة من العاهرات.

أمـا نحـن، أمـا الجـيش، فقـد كـان لهـذا الحـادث تـأثير جديـد عـلى الوضع والإحـساس فيـه، فبعـد أن كنـت تـرى الـضباط لا يتكلمـون إلا عن النساء واللهو، أصـبحوا يتكلمـون عـن التـضحية والاسـتعداد لبـذل النفوس في سبيل الكرامة، وأصبحت تراهم وكلهم ندم لأنهم لم يتدخلوا – مع ضعفهم الظاهر – ويردوا للبلاد كرامتهـا ويغـسلوها بالـدماء.. ولكـن إن غـداً لقريـب.. حـاول الـبعض بعـد الحـادث أن يعمـل شـيئاً بغـرض

الانتقام، لكن كان الوقت قد فات، أما القلوب فكلها نار وأسى. عموماً، فإن هذه الحركة أو هذه الطعنة ردت الروح إلى بعض الأجساد وعرَّفتهم أن هناك كرامة يجب أن يستعدوا للدفاع عنها، وكان هذا درساً، ولكنه كان درساً قاسياً».

في التّاسع من أيلول – سبتمبر عام (١٩٤٢م)، رقّي (جمال عبد النّاصر) إلى رتبة «نقيب» (يوزباشي).

وفي ٧ شباط – فبراير عام (١٩٤٣م) عُيّن مدرّساً في «الكلّيّة الحربيّة». وتزوّج في العام (١٩٤٤م).

عام (١٩٤٥م) انتهت الحرب العالميّة الثّانية، وكان العام الذي شهد بداية حركة «الضّبّاط الأحرار». ويروي (جمال عبد النّاصر) فيقول:

«ركزت حتى ١٩٤٨ على تأليف نواة من الناس الذين بلغ استياؤهم من مجرى الأمور في مصر مبلغ استيائي، والذين توفرت لديهم الشجاعة الكافية والتصميم الكافي للإقدام على التغيير اللازم. وكنّا يومئذ جماعة صغيرة من الأصدقاء المخلصين نحاول أن نخرج مثلنا العليا العامة في هدف مشترك وفي خطة مشتركة».

عقد «الضّباط الأحرار» اجتماعاً عقب صدور قرار «تقسيم فلسطين» عام (١٩٤٧م)، ورأوا أن الوقت قد حان للدّفاع عن حقوق العرب ضدّ هذا الانتهاك الفاضح للكرامات الإنسانيّة والكرامة العربيّة والعدالة الدّوليّة، وأجمعوا على مؤازرة «المقاومة» في (فلسطين).

أمـرت «الحكومـة المـصريّة» الجـيش المـصري ّ، رسـمياً، بالاشـتراك في حرب (١٩٤٨م)، في فلسطين. وذهب (جمال عبد النّاصر) إلى فلـسطين في ١٦ أيّار – مايو (١٩٤٨م)، وكان قـد رُقّـيَ إلى رتبـة «رائـد» (صـاغ) في أوائل هذا العام.

جُرح (عبد النّاصر) مرّتين في حرب (فلـسطين)، ونظـراً لتميّـز دوره مُنح «نيشان النّجمة العسكريّة» في عام (١٩٤٩م).

بعد عودته إلى مصر تشكّلت لدى «مجموعة الضّبّاط الأحـرار» قناعـة أن الملك (فاروق) قد أصبح هدفهم بين عامَي (١٩٤٨ – ١٩٥٢م).

تزامنت عودة عبد النـاصر إلى مـصر مـع انقـلاب (حـسني الـزعيم) في سورية، وقد منح نجاحه (عبد الناصر) الثقة بالقدرة على نجاح مـساعيه الثورية.

بعد فترة وجيزة من عودته، استدعى رئـيس الـوزراء (إبـراهيم عبـد الهادي) (عبد الناصر) لاستجوابه بشأن شكوك حول تشكيل مجموعة سرية من ضباط المعارضة، نفى (عبد الناصر) هذه المـزاعم بـشكل مقنـع. وكـان (عبد الهادي) أيضاً متردداً في اتخاذ تدابير جذرية ضد الجيش، خصوصاً أمام رئيس أركانه، الذي كان حاضراً في أثناء الاسـتجواب، وأفـرج عـن (عبـد الناصر) في وقت لاحق. ودفع هذا الاستجواب (عبـد النـاصر) إلى تـسريع أنشطة جماعته.

بعد عودته من (فلسطين) عيّن (جمال عبد الناصر) مدرساً في «كلية أركان حرب» التي كان قد نجح في امتحاناتها بتفوق في ١٢ أيّار - مايو عام (١٩٤٨م). وبدأ من جديد نشاط «الضباط الأحرار»، وتألفت «لجنة تنفيذية»(اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار) بقيادة (جمال عبد الناصر)، تضم (كمال الدين حسين) و(عبد الحكيم عامر) و(حسين إبراهيم) و(صلاح سالم) و(عبد اللطيف البغدادي) و(خالد محيي الدين) و(أنور السادات) و(حسين الشافعي) و(زكريا محيي الدين) و(جمال سالم)، وهي «اللجنة» التي أصبحت «مجلس الثورة» فيما بعد ١٩٥٠م، ١٩٥١م.

في الانتخابات البرلمانية سنة (١٩٥٠م)، فاز «حزب الوفد» بأغلبية المقاعد، ويرجع ذلك إلى غياب جماعة «الإخوان المسلمين»، الذين قاطعوا الانتخابات. بدأت الاتهامات بالفساد ضد سياسيي «حزب الوفد» تطفو على السطح، وانتشرت الشائعات والشكوك حولهم، ما جلب «الضباط الأحرار» إلى واجهة الحياة السياسية المصرية. وبحلول ذلك الوقت، كان عدد أعضاء «التنظيم» قد ارتفع إلى ٩٠ عضواً.

في ٨ أيّار - مايو عام (١٩٥١م) رقّي (جمال عبد الناصر) إلى رتبة (البكباشي) «مقدم»، وفي نفس العام اشترك مع رفاقه من «الضباط الأحرار» سراً في حرب الفدائيين ضد القوات البريطانية في منطقة «القناة» التي استمرت حتى بداية عام (١٩٥٢م)، وذلك بتدريب المتطوعين، وتوريد السلاح الذي كان يتم في إطار الدعوة إلى

«الكفاح المسلح» من جانب الشبَّان، من كافة الاتجاهات السياسية، والـذي كان يتم خارج الإطار الحكومي.

في بدايــة عــام (١٩٥٢م) اتّجــه تفكــير «الــضّبّاط الأحــرار» إلى الاغتيالات، ولكن سرعان ما عدلوا عن هذا الأسلوب، وجـرى التّركيـز، نهائيّاً، على «التّغيير الثّوريّ».

ومع بداية مرحلة التعبئة الثورية، صدرت منشورات الضباط الأحرار التي كانت تطبع وتوزع سراً. والتي دعت إلى إعادة تنظيم الجيش وتـسليحه وتدريبه بجدية بدلاً من اقتصاره على الحفلات والاستعراضات، كما دعـت الحكام إلى الكف عن تبذير ثروات البلاد ورفع مـستوى معيـشة الطبقـات الفقيرة، وانتقدت الإتجار في الرتـب والنياشـين. وفي تلـك الفـترة اتـسعت فـضيحة الأسـلحة الفاسـدة إلى جانـب فـضائح اقتـصادية تورطـت فيهـا حكومة الوفد.

حـدث حريـق القـاهرة في ٢٦ كـانون الثّـاني - ينـاير (١٩٥٢م) بعــد انــدلاع المظــاهرات فيهــا احتجاجــاً عــلى مذبحـــة رجـــال البـوليس بالإسـماعيلية التـي ارتكبتهـا القـوات العـسكرية البريطانيـة في اليوم السابق، والتي قتـل فيهـا ٤٦ شرطيـاً وجـرح ٧٢. لقـد أشـعلت الحرائــق في القــاهرة، ولم تتخــذ الــسلطات أي إجـراء، ولم تــصدر الأوامر للجيـش بـالنزول إلى العاصـمة إلا العـصر بعـد أن دمـرت النـار أربعمئة مبنى، وتركـت ١٢ ألف شخص بلا مـأوى، وقـد بلغـت الخـسائر ٢٢ مليون جنيه.

وفي ذلك الوقت كان يجري صراع سافر بين الضباط الأحرار وبين الملك فاروق، فيما عرف بأزمة انتخابات نادي ضباط الجيش. فقد رشح الملك اللواء حسين سري عامر المكروه من ضباط الجيش ليرأس اللجنة التنفيذية للنادي، وقرر الضباط الأحرار أن يقدموا قائمة مرشحيهم، وعلى رأسهم (اللواء محمد نجيب) للرئاسة، وقد انتُخِب بأغلبية كبرى. ورغم إلغاء الانتخاب، بتعليمات من الملك شخصياً، إلا أنه كان قد ثبت للضباط الأحرار أن الجيش معهم يؤيدهم ضد الملك، فقرر (جمال عبد الناصر) – رئيس الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار – تقديم موعد الثورة الذي كان محدداً لها قبل ذلك في العام (١٩٥٥م)، وتحرك الجيش ليلة ٢٣ تموز - يوليو (١٩٥٢م)، واحتُلَّ مبنى قيادة الجيش على «جسر القبة» (كوبري القبّة) وأُلقي القبض على قادة الجيش الذين كانوا مجتمعين لبحث مواجهة حركة الضباط الأحرار بعد أن تسربت عنها الأخبار .

وبعد نجاح حركة الجيش قُدّم (محمد نجيب) على أنه قائد الثورة – وكان الضباط الأحرار قد فاتحوه قبلها بشهرين في احتمال انضمامه إليهم إذا ما نجحت المحاولة - إلا أن السلطة الفعلية كانت في يد «مجلس قيادة الثورة» الذي كان يرأسه (جمال عبد الناصر) حتى ٢٥ آب – أغسطس (١٩٥٢م) عندما صدر «قرار» من مجلس قيادة الثورة بضم (محمد نجيب) إلى عضوية المجلس وأسندت إليه رئاسته بعد أن تنازل له عنها (جمال عبد الناصر).

في صبيحة يوم ٢٣ تمّوز – يوليو (١٩٥٢م)، وبعد احتلال «الإذاعة»، أُذيعَ «بيان الثّورة» التّالي:

«اجتازت مصر فترة عصيبة في تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم، وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش، وتسبب المرتشون والمغرضون في هزيمتنا في حرب فلسطين، وأما فترة ما بعد الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد، وتآمر الخونة على الجيش، وتولى أمره إما جاهل أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها، وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا، وتولى أمرنا في داخل الجيش رجال نثق في قدرتهم وفي خُلقهم وفي وطنيتهم، ولا بد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب.

«أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهم ضرر، وسيطلق سراحهم في الوقت المناسب، وإني أؤكد للشعب المصري أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن في ظل الدستور مجرداً من أية غاية، وأنتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف؛ لأن هذا ليس في صالح مصر، وإن أي عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل وسيلقى فاعله جزاء الخائن في الحال، وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاوناً مع البوليس، وإني أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم، ويعدُّ الجيش نفسه مسؤولاً عنهم، والله وليّ التوفيق».

وبعد نجاح الثورة بثلاثة أيام – أي في ٢٦ يوليو – أجبر الملك (فاروق) على التنازل عن «العرش» لابنه (أحمد فؤاد) ومغادرة البلاد. وفي اليوم التالي أعيد انتخاب (جمال عبد الناصر) رئيساً للهيئة التأسيسية للضباط الأحرار.

في شباط – فبراير (١٩٥٤م) استقال (محمد نجيب) بعد أن اتسعت الخلافات بينه وبين أعضاء «مجلس قيادة الثورة»، وعين (جمال عبد الناصر) رئيساً لمجلس قيادة الثورة ورئيساً لمجلس الوزراء.

في ٢٧ شباط – فبراير من العام (١٩٥٤م)، وإثر الخلافات التي نشبت بين (محمد نجيب) رئيس الجمهوريّة، من جهة، وباقي أعضاء «مجلس قيادة الثورة»، من جهة ثانية؛ بدأت أحداث الشغب التي دبرتها «جماعة الإخوان المسلمين» التي كان مجلس قيادة الثورة قد أصدر قراراً بحلّها في ١٤ كانون الثّاني – يناير (١٩٥٤م)، مع تورّط بعض عناصر «النّظام القديم» في تلك الأحداث، ومع اتّساع شقّة الخلاف في «مجلس قيادة الثورة»، الذي انقسم إلى فريقين، الأوّل بقيادة (محمد نجيب) و(خالد محيي الدّين)؛ والثّاني بقيادة (جمال عبد النّاصر) وباقي الأعضاء.. ؛ كلّ ذلك كان من شأنه أن يترك أثره على الجيش، عموماً، كما حاول السّياسيّون استغلاله، وبخاصّة «الإخوان المسلمون» وأنصار الأحزاب القديمة الذين كانوا في صفّ (محمد نجيب) وعلى اتّصالٍ به.

في ١٧ نيسان – أبريل (١٩٥٤م) تولّى (جمال عبد الناصر) رئاسة مجلس الوزراء واقتصر (محمد نجيب) على «رئاسة الجمهورية» إلى أن جرت محاولة

لاغتيال (جمال عبد الناصر) على يد «الإخوان المسلمين» عندما أطلق عليه الرصاص أحد أعضاء «الجماعة» وهو يخطب في «ميدان المنشية» بالإسكندرية في ٢٦ تشرين الأوّل - أكتوبر (١٩٥٤م)، وثبت من التحقيقات مع «الإخوان المسلمين» أن (محمد نجيب) كان على اتصال معهم، وأنه كان معتزماً تأييدهم إذا ما نجحوا في قلب نظام الحكم. وهنا قرر مجلس قيادة الثورة في ١٤ تشرين الثّاني - نوفمبر (١٩٥٤م) إعفاء (محمد نجيب) من جميع مناصبه على أن يبقى منصب رئيس الجمهورية شاغراً، وأن يستمر «مجلس قيادة الثورة» في تولّي كافة سلطاته بقيادة (جمال عبد الناصر).

في ٢٤ حزيران - يونيو (١٩٥٦م) انتخب (جمال عبد الناصر) رئيساً للجمهورية بالاستفتاء الشعبي وفاقاً لدستور ١٦ كانون الثّاني - يناير (١٩٥٦م)، أول دستور للثورة؛ وهو ثاني رئيس مصريّ، بعد انقلابها إلى «جمهوريّة»، فقد سبقه في ذلك الرّئيس (محمّد نجيب).

وفي ٢٢ شباط - فبراير (١٩٥٨م) أصبح (جمال عبد الناصر) رئيساً للجمهورية العربية المتحدة بعد إعلان الوحدة بين (مصر) و(سورية)، وذلك حتى مؤامرة الانفصال في ٢٨ أيلول - سبتمبر (١٩٦١م).

فارق الزعيم (جمال عبد الناصر) الحياة في ٢٨ أيلول عام (١٩٧٠م) ولم يكن قد بلغ من العمر، إلا «٥٢» اثنين وخمسين عاماً، وذلك عقب مؤتمر القمة الذي عقد في شهر أيلول - سبتمبر من ذلك العام.

(جمال عبد النّاصر) هو أعظم الزّعماء العرب في تاريخهم القديم والحديث .. وكانت حياته زاخرة بالأحداث المتّصلة بمصير أمّتنا العربيّة

وتاريخها المعاصر. ففي عهده أُمِّمت «قناة السّويس»، وواجهت مصر «العدوان الثّلاثيّ»، وقامت «الوحدة» بين (مصر) و(سورية)، وترأَّس الجمهوريّة العربيّة المتحدة، وحدث «الانفصال». كما شهدت فترة رئاسته «حرب حزيران» عام (١٩٦٧م).

كان «العربُ» الخارجون من فجيعة «تقسيم فلسطين» عام (١٩٤٧م)، و«نكبة» حرب عام (١٩٤٨م)، و«نكسة» حزيران عام (١٩٦٧م)، في أكثر وأشدّ عصور الإحباط العربيّ القوميّ، اتّساعاً وعمقاً. كانت العروبة ذاتها محلّ شكّ ويأس مع فقدان الثّقة الجماهيريّة العربيّة بالملوك والزّعماء العرب الرّجعيين منهم والخونة، على السّواء.

وفي هذه الظّروف، كانت العواطف الشّعبيّة والآمال الجماهيريّة العربيّة، في الأوساط اليوميّة العاديّة، وفي أوساط المثقّفين أيضاً، تتطلّعُ إلى منقذ ومخلّصٍ قادرٍ على أن يشكّل معادلاً قوميّاً عربيّاً وقائداً تثق به جماهير الأمّة العربيّة لتفوّضه آمالها وتطلّعاتها في التّحرّر ومواجهة الاستعمار من كلّ أصنافه وأساليبه وأدواته، والسّير على طريق الأمم المعاصرة. .

وكان (جمال عبد النّاصر) هو هذا الجامع ـ وليس القاسم ـ المشترك الأعظم الذي يلبّي للشّعوب العربيّة أحلامها في برنامج أو مشروع قوميّ كبير.

كانت مواقفُ (جمال عبد النّاصر) مواقفَ قوميّةً أصيلة وصريحة ضدّ كلّ أشكال الاستعمار والاغتصاب للأرض والحقوق، وضدّ الصهيونية و«إسرائيل»، وضد مختلف صنوف وأشكال الرّجعيّة العربيّة

سواءٌ منها تلك المتمثّلة في القوى الاجتماعيّة والسّياسيّة ذات المشاريع الفكريّة الرّجعيّة والمتخلّفة والحاقدة واللئيمة والمأجورة (كالإخوان المسلمين، مثلاً!)، أو تلك التي تعبّر عنها دولٌ وممالك وإماراتٌ رجعيّة مرتبطة بالاستعمار الغربيّ إلى درجة الخيانة لكلّ حقوق الأمّة في التّحرّر وتقرير المصير.

هكذا ترك رحيل الزّعيم الخالد (جمال عبد النّاصر) فراغاً كبيراً في الوجدان العربيّ والعاطفة العربيّة، سواءً بسواءٍ، كما في مشروع التّحرّر القوميّ العربيّ والنّهضة الفكريّة والسيّاسيّة القوميّة.

ولكنّ تلك «الفجوة» لم تدُمْ طويلاً، حيث برزَ في سماء الأمّة العربيّة والفكر القوميّ العربيّ (حافظ الأسد)، هذا القائد العربيّ التّاريخيّ، الذي عمل - ليلَ نهار - لسَدّ الفراغ القوميّ العربيّ، مباشرةً، ودون انقطاعٍ في مسيرة التّحرّر من الاستعمار والدّفاع عن المقدّسات، وترسيخ الفكر النّضاليّ العربيّ، وذلك في آثار شاهدةٍ حتّى اليوم .

فيديل كاسترو

-٧-

فيديل كاسترو

أنبل ثوار القرن العشرين

ولد فيديل أليخاندرو (كاسترو) في ١٣ آب – أغسطس من العام (١٩٢٦م)، بالقرب من (بيران) الواقعة في مقاطعة (أورينت) شرق (كوبا)، لوالدين مهاجرين من (إسبانيا)، في أسرةٍ من المزارعين الأثرياء من ملّاكي الأراضي. وهو الابن الثالث من ستة أولاد، بما في ذلك شقيقاه (راؤول) و(رامون)، وثلاث شقيقات. كان والده من الأثرياء وصاحب مزرعة للسكر، وكانت والدة (كاسترو) خادمة لزوجة أبيه الأولى. وفي سن ١٧، اعترف الوالد بـ (فيدل) رسمياً، وتم تغيير اسمه من (روز) لـ (كاسترو).

تلقى (كاسترو) تعليمه في مدارس «اليسوعية» الداخلية الخاصة، وترعرع في أسرةٍ غنية وسط فقر الشعب الكوبي، وكان من الموهوبين فكرياً.

تمرد (كاسترو) منذ صغره على حالة الترف التي كان يعيشها بعد ما صُدم بالتناقض الكبير بين رغد العيش في أحضان أسرته وبين قسوة العيش والفقر في مجتمعه.

في عام (١٩٤٥م) التحق بجامعة (هافانا)، حيث درس «القانون».

في عام (١٩٤٧م)، أصبح (كاسترو) متعاطفاً بشدّة وحماس مع قضايا «العدالة الاجتماعية»، فسافر إلى جمهورية «الدومينيكان» للانضمام إلى الحملة لمحاولة الإطاحة بالدكتاتور (رافاييل تروخيو)، ولكن «الانقلاب» فشل قبل أن يبدأ، إلا أن هذا الحادث لن يضعف من حماس (كاسترو) للإصلاح الثوريّ.

بعد فترة وجيزة من عودته إلى الجامعة في (هافانا)، انضم كاسترو إلى حزب (Ortodoxo)، وهو حزب سياسي شيوعيّ تأسس لإصلاح الفساد الحكومي في (كوبا). كانت أهدافه القومية، هي الاستقلال الاقتصادي، والإصلاحات الاجتماعية، وكان مؤسسه، المرشح الرئاسي الكوبي (إدواردو) (Chibas)، الذي خسر الانتخابات في عام (١٩٤٨م).

في عام ١٩٤٨، تزوج (كاسترو)، وكانت زوجته من عائلة ثرية في كوبا. كان يسعى بطموحاته السياسية كمرشح للحصول على مقعد في البرلمان الكوبي؛ إلا أن الانقلاب الذي قاده (فولغينسيو باتيستا) عمل على إلغاء الانتخابات البرلمانية المزمع عقدها آنذاك.

تخرّج (كاسترو) في الجامعة العام (١٩٥٠م) وعمل محامياً.

في أثناء وجوده في جامعة (هافانا)، تشبّع (كاسترو) بالمناخ السّياسيّ القوميّ الكوبيّ، وبالاشتراكيّة، وبمعاداة الإمبرياليّة.

سمَّى (باتيستا) نفسه دكتاتوراً، وعزّز سلطته مع الجيش والنخبة الاقتصادية في (كوبا) وحصَّن حكومته التي تعترف بها (الولايات المتحدة).

وقف كاسترو مع زملائه أعضاء حزب (Ortodoxo) فقد كان يتوقع أن يفوز في الانتخابات عام (١٩٥٢م)، ونظم تمرّداً في ٢٦ تموز - يوليو (١٩٥٣م).

توجّه (كاسترو) ومعه نحو (١٥٠) من أنصاره وهاجموا ثكنة (مونكادا) في مدينة (سنتياغو دي كوبا) [ثاني أكبر مدينة في كوبا، بعد هافانا] في محاولة للإطاحة بـ (باتيستا)، ولكن الهجوم فشل واعتقل (كاسترو)، وحوكم وأدين، وحُكم عليه بالسجن لمدة (١٥) عاماً. ومع ذلك، عزّز هذا الحادث المعارضة المستمرة للحكومة، ما جعل (كاسترو) مشهوراً في جميع أنحاء (كوبا) .

أطلق سراح (كاسترو) في أيّار - مايو عام (١٩٥٥م)، ونُفي إلى (المكسيك)، حيث ينتظره هناك أخوه (راؤول) ورفاقه فيما كانوا يلمّون الشّمل إعداداً للثّورة.

في (المكسيك) كان إرنستو تشي (غيفارا) قد التحق بالثّوّار ليتعرّف على (كاسترو)، وليصبح، مع رفاقه ومن معه، جُزءاً من «المجموعة الثّوريّة».

وضع (فيديل كاسترو) و(إرنستو تشي غيفارا)، مع رفاقهما، استراتيجية جديدة لإسقاط نظام (باتيستا) على أساس حرب العصابات.

واعتقد (غيفارا) أن محنة الفقراء في أمريكا اللاتينية لايمكن معالجتها إلا من خلال ثورة عنيفة، ولذلك انضم إلى مجموعة كاسترو وأصبح من المقربين المهمين إليه، وقام (كاسترو) بصياغة المعتقدات السياسية للحركة الثّوريّة النّاشئة.

في يوم ٢ كانون الأوّل - ديسمبر (١٩٥٦م)، عاد (كاسترو) مع رفاقه من (المكسيك) إلى (كوبا) على متن قارب شراعيّ يحمل (٨٠) مسلحاً. وفور وصوله تحرك (كاسترو) عسكرياً، واستطاع (٤٠) من مجموع الـ (٨٠) رجلاً الانسحاب إلى الجبال، بعد أن تعرضوا لهجوم غير متوقع من جيش (باتيستا) عند نزولهم على الشاطئ ودخولهم (كوبا).

تمكن (كاسترو) وشقيقه (راؤول)، و(غيفارا) ورفاق لهم آخرون من الفرار في سلسلة جبال (سيرا مايسترا) على طول الساحل الجنوبي الشرقي للجزيرة.

عمل (كاسترو) من جديد على ترتيب صفوفه وبدأ مع رفاقه يشنُّ «حرب عصابات» من الجبال على الحكومة الكوبية.

وابتداء من عام (١٩٥٨م)، وعلى مدى عامين، شنّ ثوّار (كاسترو) «حرب عصابات» ضد حكومة (باتيستا)، واستطاع تنظيم «جماعات المقاومة» في المدن والبلدات الصغيرة في جميع أنحاء (كوبا)، كما أنه كان قادراً على تنظيم «حكومة موازية»، وإجراء بعض الإصلاحات الزراعية في المحافظات «المحرّرة» والسيطرة على الإنتاج الزراعي والتصنيع.

شنت قوات (كاسترو) سلسلة من الحملات العسكرية الناجحة في جميع أنحاء (كوبا)، وبسبب جهوده، وفقدان الدعم الشعبي لقوات (باتيستا) وفرار الجنود النّظاميين من قوات «الدّكتاتور» على نطاق واسع من الجيش، وبتأييد شعبي لـ (كاسترو)، وانضمام رجال «القوات المسلحة الكوبية، النّظاميّة» إلى صفوفه، استطاع (كاسترو) أن يشكل ضغطاً على حكومة (هافانا)، فانهارت حكومة (باتيستا) مما اضطر «رئيس الحكومة» و«رئيس الجمهورية» إلى الهرب من العاصمة في ١ كانون الثّاني – يناير عام (١٩٥٩م)، على إثر إضراب عام وشامل جاء تلبية لخطاب (فيديل كاسترو)؛ ثم دخلت قواته العاصمة (هافانا) بقيادة (إرنستو تشي غيفارا)، وكان عدد المقاتلين الذين دخلوا تحت أمرة (غيفارا) ثلاثمئة.

كان كاسترو في سن ال (٣٢) عاماً عندما اختتم بنجاح حملة حرب العصابات الكلاسيكية للسيطرة على (كوبا).

أُنشئت حكومة جديدة، بقيادة (خوسيه ميرو كاردونا) رئيساً للوزراء، وسرعان ما وصل (كاسترو) إلى (هافانا) مع الحشود بالهتاف، وتولى منصب رئيس الأركان في الجيش.

في شباط - فبراير (١٩٥٩م)، استقالت وزارة (ميرو) فجأة، وأدى (كاسترو) اليمين الدستوري لمنصب رئيس الوزراء .

في عام (١٩٦١م) قطعت (الولايات المتحدة) علاقاتها الدبلوماسية مع الحكومة الكوبية الثّوريّة الجديدة.

في ١٦ كانون الثّاني - يناير من العام (١٩٦١م)، أعلن (كاسترو) رسمياً أن كوبا دولة اشتراكية.

في اليوم التالي، اجتاح (كوبا) أكثر من (١٤٠٠) مقاتل من «المنفيين الكوبيين» في «خليج الخنازير»، في محاولة لقلب نظام الحكم، وانتهى التوغل بالكوارث ؛ فقد قتل المئات من «المتمردين» والمرتزقة، وألقي القبض على نحو (١٠٠٠) منهم، رغم أن (الولايات المتحدة) نفت أي تورط لها؛ كُشف بعدها أن «المنفيين الكوبيين» قد درَّبتهم «وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكيّة CIA »، وأنهم مسلحون بأسلحة من (الولايات المتحدة)؛ كما كشف أرشيف «الأمن القومي الأمريكيّ» أن (الولايات المتحدة) بدأت التخطيط لقلب نظام حكم (كاسترو) في وقت مبكر من شهر تشرين الأوّل - أكتوبر من العام (١٩٥٩م).

في نيسان - أبريل عام (١٩٦١م) وقع غزو «خليج الخنازير» وكان عبارة عن محاولة انقلابية نفَّذتها «وكالة المخابرات المركزية الأمريكيّة»، وانتهت بالفشل.

كان (كاسترو) قادراً على الاستفادة من هذا «الحادث» لتعزيز سلطته ومواصلة تعزيز مخطّطاته السّياسيّة.

ففي ١ أيّار - مايو عام (١٩٦١م)، أعلن «وضع حدّ للانتخابات الديمقراطية» في (كوبا)! وندّد بالإمبريالية الأمريكية. ثم في نهاية العام، أعلن (كاسترو) نفسه كمتبنٍّ للماركسية اللينينية، وأعلن أن «الحكومة الكوبية» اعتمدت السياسات الاقتصادية والسياسية «الشيوعية».

في ٧ شباط - فبراير عام (١٩٦٢م)، فرضت (الولايات المتحدة) الحصار الاقتصادي الكامل على (كوبا)، وهي السياسة التي لا تزال حتى يومنا هذا .

كثَّف (كاسترو) علاقاته مع (الاتحاد السوفيتي) من خلال قبول المزيد من المساعدات الاقتصادية والعسكرية.

في أكتوبر عام (١٩٦٢م)، أدى الاعتماد المتزايد على المساعدات «السوفيتية» لـ (كاسترو) بأن أصبح العالم على شفا اندلاع حرب نووية؛ وأدّت الرغبة «السوفييتيّة» في ردع الغزو الأمريكي لكوبا، أن قام رئيس الوزراء السوفييتي آنذاك (نيكيتا خروتشوف) بنشر صواريخ نووية في (كوبا)، على بعد ٩٠ ميلاً، فقط، قبالة سواحل ولاية (فلوريدا) الأمريكيّة، وبُرِّرت هذه الخطوة بأنّها ردٌّ على الصواريخ الأمريكية (كوكب المشتري) المنتشرة في (تركيا).

اكتشفت طائرة استطلاع أمريكية U2 بناء قاعدة صواريخ سوفييتيّة، وردّ الرئيس (كينيدي) بالمطالبة بإزالة الصواريخ، وأعطيت أوامر للبحرية الأمريكية لتفتيش أي سفينة متجهة إلى «الجزيرة» (كوبا) .

في (٢٧) تشرين الأوّل - أكتوبر من العام (١٩٦٢م)، بعث الرئيس الكوبي (كاسترو) برسالة خطية للرئيس السوفييتي يحثه فيها على شنّ هجوم نووي على (الولايات المتحدة) ولكن (الاتحاد السوفييتي) لم يستجب لهذا الطلب.

قرر (الاتحاد السوفيتي) إزالة الصواريخ المنشورة في (كوبا) شريطة أن تتعهد (الولايات المتحدة) بعدم غزو (كوبا) أولاً، وثانياً، بالتخلص من الصواريخ البالستية الأمريكية في (تركيا).. ما أدى لاستتباب الأمن وزوال الخطر.

ولكنّ العلاقة بين (الولايات المتحدة) و(كوبا) اتّسمتْ بالعدائية، واستمرت (الولايات المتحدة) في محاولاتها المتواصلة لاغتيال (كاسترو).

أصبح (كاسترو) منذ حينه أهم النجوم اللامعة في عصر الحرب الباردة.

في عام ١٩٧٠، أعلن (كاسترو) نفسه أنه المتحدث الرئيسي لبلدان العالم الثالث من خلال توفير الدعم العسكري للقوات الموالية للاتحاد السوفيتي في أنغولا وإثيوبيا واليمن.

في عام (١٩٧٥م)، أرسل (١٥) ألف جنديّ إلى (أنغولا) لمساعدة القوات «الأنغولية» المدعومة من «السوفييت».

وفي عام (١٩٧٧م) أرسل قوات أخرى إلى (أثيوبيا) لدعم نظام الرئيس الماركسي (مانغستو هيلا ميريام).

كان لانهيار «المعسكر الاشتراكي» عام (١٩٩١م) أثرٌ كبيرٌ على أوضاع (كوبا) الاقتصادية بخاصّة ..

إلا أن (كوبا) تمكنت من التقليل من آثار انهيار المعسكر الاشتراكي عليها ؛ فقد كان (كاسترو) بارعاً جداً في السنوات الأخيرة، فقد استطاع السيطرة على الحكومة في أثناء الأوقات الاقتصادية العصيبة .. وضغط على (الولايات المتحدة) لرفع الحصار الاقتصادي، ولكنها رفضت .

اضطرّ (كاسترو) لاعتماد نظام «الاقتصاد الحر» نسبياً، كإضافةٍ مرحليّة أو تكتيكيّة، إلى جانب القطاع العامّ. فقام بتشجيع الاستثمار الدولي وتشجيع السياحة، وزار الولايات المتحدة في عام (١٩٩٦م)، ودعا المنفيين الكوبيين الذين يعيشون هناك للعودة إلى كوبا لبدء الأعمال التجارية .

صمد نظام (فيديل كاسترو) حتّى رحيله إلى العالم الآخر (أكثر من نصف قرن) أمام غطرسة (الولايات المتحدة) وعدائها المباشر لكوبا، ناهيكَ عن الحصار الاقتصادي المطلق الذي فرضته على بلاده؛ واستمر نظام (كاسترو) حتى بعد سقوط الأنظمة الشيوعية في دول الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية عام (١٩٩١م).

كان لنظام (كاسترو) الفضل الكبير في الانتقال بـ (كوبا) من نظام اجتماعيّ راكد ومجتمع متأخّر إلى مجتمع علميّ، حيث افتتح (١٠,٠٠٠) عشرة آلاف مدرسة جديدة، وزيادة في محو الأمية إلى (٩٨) في المئة . وتمتع الكوبيون بنظام الرعاية الصحية الشامل الفريد من نوعه، فانخفض معدل الوفيات نتيجةً لرفع مستوى المعيشة للمواطن الكوبيّ.

وبينما كانت «الأنظمة الشيوعية» تنهار حول العالم، نجح الزعيم الكوبي العالمي (فيديل كاسترو) في الحفاظ على الأعلام الحمراء ترفرف على أبواب عدوه الأكبر، (الولايات المتحدة الأمريكية).

تعرض (كاسترو) لمحاولات كثيرة من الاغتيالات والقتل ومن التدخلات الأمريكية، وتحول «الرجل» إلى مثال ثوري ورمز أسطوري أمام بلدان وقيادات أخرى في أمريكا اللاتينية وغيرها.

وذكرت عدة تقارير استخباراتيّة وغيرها أن (الولايات المتحدة) حاكت أكثر من ستمئة مؤامرة لاغتيال (كاسترو) إلا أنه ظلَّ زعيماً عالميّاً شيوعيّاً هناك في قلب «القارّة الأمريكيّة»، وعلى قبالة سواحل (الولايات المتّحدة) نفسها، بينما تعاقب على حكم (الولايات المتحدة) أكثر من عشرة رؤساء.

رحل الزّعيم التاريخي الكبير (فيديل كاسترو) عن عالمنا، منذ مدَّةٍ قليلة، في السّادس والعشرين من شهر تشرين الثّاني – نوفمبر من العام (٢٠١٦م)، وكان رحيله يمثِّل غياب أحد آخر قادة وعظماء القرن العشرين.. السّالف منذ عهدٍ قريب.

حافظ الأسد

- ٨ -

حافظ الأسد

ولد (حافظ الأسد) في بلدة (القرداحة) في محافظة (اللاذقية) السّوريّة، في السّادس من تشرين الأوّل –أكتوبر من عام (١٩٣٠م)، لأسرة قرويّة تعمل في فلاحة الأرض؛ وحمل صفات أسرته ذات الجذور والقيم العربية الأصيلة.

تلقى (حافظ الأسد) تعليمه «الابتدائي» في مدرسة (القرداحة)؛ وكان أوّل مَنْ حصّل تعليماً «رسمياً» في أسرته.

كان (حافظ الأسد) لامعاً، متفوّقاً، منذ سنوات دراسته الأولى (١٩٤٠ - ١٩٤٦)؛ إذ كان في التّرتيب الأوّل في صفه كما تبين «الوقائع» و«الملفّات»، فكان لا يكتفي بدراسة «المنهاج الدراسي المقرّر»، بل كان يُكثر من القراءة والتّثقّف، وبخاصة في حقل الأدب والشعر بشكل خاص؛ ولقد جعلته هذه الصفات يحظى بعدة شهادات «تقدير» منذ أن كان تلميذاً في المدرسة الابتدائيّة.

انتقل (حافظ الأسَد) إلى مدينة (اللاذقية) ليُتمَّ تعليمَه «الإعداديّ» و«الثانويّ» فيها، في ثانويّة (تجهيز البنين / جول جمّال)، في مطلع

«الأربعينيات» من القرن الماضي؛ ونال شهادة «التّعليم الثّانويّ» – «الفرع العلمي» فيها، ولكنه لم يدخل «كلّيّة الطّب» في جامعة (القديس يوسف) في (بيروت) كما كان يرغب والده له .

انضم (حافظ الأسد) إلى صفوف «حزب البعث» عام (١٩٤٦م)، عندما شكّل، رسميّاً، أوّل «فرع» له في (اللاذقية). وانخرط (حافظ الأسد) في العمل السياسي في (اللاذقية) قبل انعقاد المؤتمر الأول لـ «حزب البعث العربيّ الاشتراكيّ»، في نيسان (١٩٤٧م).

كان لانتساب (حافظ الأسد) إلى صفوف (حزب البعث العربيّ الاشتراكيّ) دور كبير وأهمّيّة خاصّة في بلورة وعيه القوميّ وروحه النّضاليّة التي رافقته طوال الحياة.

كان بعض «المدرّسين» في ثانوية (تجهيز البنين / جول جمّال) الرسمية وبعض زملائه الطلاب الأكبر سناً من (حافظ الأسَد) يتناقلون «الأفكار القومية» و«الاشتراكية» السائدة في الأوساط المثقّفة، آنذاك، فبرز اهتمامه بالقضايا العامة منذ تلك الفترة (في أثناء «الحرب العالمية الثانية» وقبل جلاء «الفرنسيين» عن سورية).

أسهم (حافظ الأسَد) في المظاهرات ضد «حكم الاستعمار الفرنسي»، كما شارك في العمل السياسيّ من أجل «الجلاء». بعد ذلك، انتخب في لجنة طلاب محافظة اللاذقية، وقاد «حركة الطلاب» في المحافظة بصفته رئيساً لهذه اللجنة، فكان ناشطاً فيها بحماس كبير حتّى ترأس «فرع الاتحاد الوطني للطلبة» في محافظة (اللاذقية)، ثم غدا رئيساً لـ «اتحاد الطلبة في سورية».

كان النضال من أجل قضية (فلسطين) وغيرها من «القضايا القوميّة العامة» هو الوجه البارز للعمل السياسي في تلك الفترة من تاريخ الوطنيين- القوميين العرب، في سورية .

تطوع (حافظ الأسد) في صفوف «الكلية الحربيّة العسكرية» في العام (١٩٥٢م)، وتحوَّل منها إلى «الكلية الجوية». تخرَّج فيها طياراً برتبة «مُلازم» في مطلع عام (١٩٥٥م) بعد أن نال المرتبة الأولى في «الطيران العملي» في كلّ سنة من سنيّ الدراسة؛ وعند «التخرّج» في صفوف «الكلّيّة الجويّة» حصل على الدّرجة الأولى في «بطولة الألعاب الجوية»، ونال شرفَ «كأس البطولة».

بعد سقوط حكم العقيد (أديب الشيشكلي)، واستتباب المناخ السّياسيّ الوطنيّ لصالح «البعثيين»، سمحت الظّروف العسكريّة في (سورية) بزيادة نشاط «البعثيين» وتقدّمهم الصّفوف الوطنيّة، فقد اختير (حافظ الأسد)، لسيرته الممتازة بتفوّقه العلميّ والعمليّ، للذهاب إلى (مصر) للتدرّب على قيادة «الطائرات النفاثة»، ثم أرسل إلى (الاتحاد السوفييتي) ليتلقى «تدريباً إضافياً» على «الطيران الليلي» بطائرات «الميغ»- (١٥ و ١٧ -) التي كان قد تزوّد بها «سلاح القوات الجوية العربية السورية».

عاش (حافظ الأسد) تجربة «الوحدة» بين (سورية) و(مصر). عاشها مناضلاً، وعاشها طياراً، أيضاً؛ فانتدب للخدمة في (القاهرة) مع أحد أسراب «القتال الليلي» التابع لـ «القوات الجويّة العربيّة السوريّة»؛ وكان حينها برتبة «نقيب طيار».

اتبع (حافظ الأسد) دورات عسكرية كـ «طيار قتال» على مختلف أنواع الطائرات، كما اجتاز بتفوّقٍ دورة «طيار قتال نهاري وليلي»؛ كما أوفد في «بعثات دراسية» خارج (القطر العربي السوري) إلى الاتحاد السوفييتي، واجتاز بدرجة «امتياز» دورة «قائد سَرب» في عام (١٩٥٩م)، وحصل على شهادة «دورة أركان طيران» عام (١٩٦٤م)، بامتياز.

في حينهِ لم يتقبل (حافظ الأسد) - مع عدد من رفاقه- قرار «قيادة حزب البعث العربيّ الاشتراكيّ» بحل «الحزب» عام (١٩٥٨م)، استجابة لشروط الرئيس المصري (جمال عبد الناصر) لتحقيق الوحدة؛ فقاموا بتشكيل تنظيم سري عام (١٩٦٠م) عُرف بـ «اللجنة العسكرية»، والتي سيكون لها دورٌ هامّ وفاعل وأساسيٌّ في مستقبل سيرة تاريخ «الحزب».

أُبعِدَ (حافظ الأسد) عن «القوات المسلحة» في الثّاني من شهر كانونْ الأوّل – ديسمبر من العام (١٩٦١م)، بعد «مؤامرة الانفصال»، ونُقل إلى إحدى «الوزارات المدنية» في (سورية) [وزارة النّقل]، نتيجة مواقفه النضالية المضادة للانفصال؛ ثمّ عاد إلى «الخدمة العسكريّة» بعد قيام «ثورة آذار» عام (١٩٦٣م) وتسلُّم «حزب البعث العربيّ الاشتراكيّ» قيادة الحكم في «الدّولة».

لم ينثنِ (حافظ الأسد) عن عزيمته الثّوريّة، فتابع النضال ضدّ «الانفصال»، وكان رائداً في التنظيم النضالي وقيادته، إذْ أسهم بفعالية عالية في «النضال السياسي» لإسقاط حكم «الانفصال»؛ وكان «محرِّك» قادة «التنظيم السري» (اللجنة العسكريّة السّرّيّة) الذي قاد «ثورة الثامن من

آذار- مارس عام (١٩٦٣م)، كعضو بـارز وفعّـال في «اللجنـة العـسكرية» التي تولت القيادة السياسية والعسكرية، فقد كان «الرّجل الأهم» في اللجنة العسكرية القيادية التي تقود «القوات المسلحة» حزبيـاً وسياسـياً، والأبـرز فعالية وتأثيراً بين أعضائها.. فكان له الدور الأساس في الاتصالات المكثفة التي هيأت لـ «ثـورة آذار» وفجرتهـا، لاسيّما أن هـذه الاتـصالات جـاءت تتويجاً لمرحلة نضالية صعبة برزت فيها قـدرة القائـد (حـافظ الأسـد) عـلى ابتكار صيغ ملائمة للاتصال والتنسيق مع رفاقه «البعثيين» في عهد الوحدة في أثناء وجوده في (مصر)، وبعد ذلك في «عهد الانفصال».

رقّي (حافظ الأسَـد) بعـدها في عـام (١٩٦٤م) [بعـد الثّـورة] مـن رتبه «مقدَّم طيار إلى رتبة «لـواء طيـار» للظّـروف الاسـتثنائيّة التـي كانـت تهدّد «الدّولة» و«الجيش» و«الحزب»، وعُيِّن قائداً للقـوى الجويـة والـدفاع الجوي. ثمَّ بدأت اللجنة العسكرية بتعزيـز نفوذهـا، وكانـت إحـدى أهـمّ مهـمّات (حـافظ الأسـد) توسـيع شـبكة مؤيـدي وأنـصار «الحـزب» في «القوات المسلحة السورية».

قامت «اللجنة العسكرية» في (٢٣) شـباط – فبرايـر عـام(١٩٦٦م) بوضع حـدّ لعبـث المهيمنـين عـلى مـسار الحـزب في ذلـك الحـين، وذلـك لصالح «القيادة القطرية للحـزب»، ليـتخلّى بعـدها (صـلاح جديـد) عـن رتبته العسكرية للتّفرّغ للعمّـل الـسّياسيّ أمينـاً عامّـاً مـساعداً لــ «حـزب البعث العربيّ الاشـتراكيّ»، بيـنما تـولّى «اللـواء الطيـار» (حـافظ الأسـد) «وزارة الدفاع السورية».

رُفِّعَ (حافظ الأسَد) إلى رتبة «الفريق الجوي» في الأوّل من الشّهر السّابع تمّوز – يوليو عام (١٩٦٨م)..

كانت الخلافات قد بدأت بالظهور، بعد «نكسة حزيران» (١٩٦٧م) بين تيّارين سياسيين في «حزب البعث العربيّ الاشتراكيّ»؛ أحدهما بقيادة (صلاح جديد)، وثانيهما بقيادة (حافظ الأسد).

وككلّ تواريخ الأحزاب النّضاليّة والثّوريّة في «العالم الثّالث»، التي عادةً ما تقسمها الأحداث الكبيرة والجليلة، تبعاً لطبيعة الإدراكات الشّخصيّة للتّفاصيل، والتي تتعلّق بالصّفات الشّخصيّة للقادة فيها والسّياسيين، والتي تنضاف إليها مفاعيل الأحداث والظّروف، وكذلك تبعاً للبيئة السّياسيّة واستراتيجيّات العمل الجماعيّ والفرديّ في آنٍ معاً، وأيضاً تبعاً للآفاق المتاحة والتي هي محلّ خلاف يرجع إلى اتّساع أو محدوديّة الرّؤية المحليّة والإقليميّة والدّوليّة والعالميّة..، إلخ... ؛

حصل استقطابٌ سياسيّ حادّ ظهر في انقسام القيادة السّياسيّة لـ «حزب البعث العربيّ الاشتراكيّ»، فتبلور جناحان سياسيّان (في «الحزب») صار من المُحال اجتماعهما أو اتّفاقهما على «استراتيجيّة» واحدة لـ «الحزب»، في ظروف مواجهة داخلية، محلّيّة، وأخرى إقليميّة، ما هدّد «وحدة «الحزب» وجعل خيار «التكتيك» السّياسي لدى القيادة المهيمنة، يتغلّبُ على «التّأمّل الاستراتيجيّ» البطيء، وكان لابدّ من «حلٍّ» سياسيّ سريع..، فخطا (حافظ الأسَد) خطوته «التّاريخيّة» في «الحركة التّصحيحيّة» في (الثالث عشر) . [وأعلن عنها في السّادس عشر!] من

تشرين الثّاني – نوفمبر من العام (١٩٧٠م) ضد «القيادة المغامرة والمتسلطة» وممارساتها الخاطئة.

تولّى (حافظ الأسد) منصب «رئيس مجلس الوزراء» و«وزير الدفاع» و«نائب القائد الأعلى للجيش والقوّات المسلّحة»، في ٢١ تشرين الثّاني – نوفمبر (١٩٧٠م)، بعد قيامه بقيادة «الحركة التصحيحية» التي أدّت إلى انفتاح «الحزب» و«الدّولة» على جماهير الشعب وعلى «أقطار الوطن العربي»، وأعادت الحزب إلى صفوف جماهيره، واستعادت التفاف الجماهير حول الحزب وقيادته، في وَحدةٍ مكّنت الشّعب العربيّ السّوريّ وجيشه العقائديّ، من خوض معارك جديدة ومتعدّدة لتحرير الأرض والإرادة العربيّتين، إيذاناً بعهد قوميّ عربيّ جديد.

أصبح (حافظ الأسَد) «رئيساً للجمهوريّة العربيّة السّوريّة، و«القائد العامّ» للجيش والقوّات المسلّحة العربيّة السّوريّة، و«أميناً عامّاً لحزب البعث العربيّ الاشتراكيّ»، وجرى تثبيت ذلك، في «مراسيم دستوريّة» رسميّة، بعد إجراء «استفتاءٍ شعبيّ» عامّ، في الثّاني عشر من آذار – مارس (١٩٧١م)، ليصبح (حافظ الأسَد) أوّل رئيسٍ «عربيّ» للجمهوريّة العربيّة السوريّة، في تاريخ (سورية).

أعيد انتخاب (حافظ الأسَد) في استفتاءات شعبيّة، متوالية، في الأعوام (١٩٧٨م) و(١٩٨٥م) و(١٩٩٢م) و(١٩٩٩م).

حقّق (حافظ الأسَد) آمال الجماهير العربية السورية، في نضالاتها وتطلّعاتها القوميّة، وآمال الشّعب العربيّ السّوريّ، بخاصّة، جرّاء

الإصلاحات السّياسيّة الدّستوريّة والبرلمانيّة والاقتصاديّة والثّقافيّة والاجتماعيّة والحزبيّة والشّعبيّة، وعلى نحو خاصّ في بنائه «الجيش العربيّ السّوريّ العقائديّ» وتسليحه وفاقَ أحدث الأسلحة المعاصرة والمتاحة..، والذي كان من نتائجه تحقيق الانتصار التّاريخيّ على «الكيان الإسرائيلي» الغاصب، في «حرب تشرين التّحريريّة» عام(١٩٧٣م).

لقد بادر «الجيش العربي السوري» بقيادة القائد الخالد (حافظ الأسد) بهجوم شامل في (هضبة الجولان) وشنت الطائرات السورية هجوماً كبيراً على المواقع والتحصينات الإسرائيلية في عمق (الجولان)، وهاجمت التجمعات العسكرية والدبابات ومرابض المدفعية الإسرائيلية ومحطات الرادارات وخطوط الإمداد، وحقق «الجيش السوري» نجاحاً كبيراً، وحسب الخطة المعدَّة، بحيث انكشفت أرض المعركة أمام القوات والدبابات السورية التي تقدمت عدة كيلو مترات في اليوم الأول من الحرب ما أربك وشتَّت الجيش الإسرائيلي الذي كان يتلقى الضربات في كل مكان من الجولان.

اعترف العدو الصهيوني، لأوّل مرّة، بالهزيمة إذ قال موشي ديان وزير الحرب الإسرائيلي آنذاك في مؤتمر صحفي في ٩ / ١٠/ ١٩٧٣ واصفاً هذه الحرب:

«إن حرب تشرين الأول كانت مثل زلزال تعرضت له إسرائيل، وإن ما حدث في هذه الحرب قد أزال الغبار عن العيون، وأظهر لنا ما لم نكن نراه قبلها، وأدَّى كل ذلك إلى تغيير عقلية المسؤولين».

ولكن انحراف «أنور السادات» عن الخطة العسكرية المتفق عليها للحرب السورية - المصرية المشتركة لتحرير الأراضي المحتلة من «إسرائيل» وقيام السادات بتحويلها من « حرب تحرير » إلى «حرب تحريك» أفسح المجال للجيش الإسرائيلي لكي يتفرغ للجبهة السورية، مدَّة أسبوع كامل، دون أن يقوم السادات بأيّ نشاط عسكري ضد الإسرائيليين في أثناء ذلك الأسبوع تحت عنوان «الوقفة التعبوية».. وهو الأمر الذي غيّر زخم الحرب الهجومي في البداية، وأعطى «إسرائيل» الفرصة الذهبية المناسبة لهجوم معاكس عنيف ضد الجيش السوري، ومن ثم الانتقال إلى الجبهة المصرية والقيام بالعبور إلى غرب قناة السويس ومحاصرة الجيش الثالث المصري .

ولمعرفة حجم ومدى خطورة تخاذل الرّئيس المصريّ (أنور السّادات)، وانسحاب الجيش المصريّ من «حرب تشرين» [من المفيد جدّاً هنا قراءة كتاب «مذكّرات (حرب أكتوبر)» للفريق سعد الدين الشاذلي، رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية في الفترة ما بين ١٦ أيّار - مايو (١٩٧١م) وحتى ١٣ كانون الأول - ديسمبر (١٩٧٣م) - والذي يوصف بأنه «الرأس المدبر» للهجوم المصري الناجح على «خط الدفاع الإسرائيلي» (بارليف) في «حرب تشرين الأول - أكتوبر عام(١٩٧٣م)»، حول وقائع وملابسات تخاذل الرّئيس المصريّ (أنور السّادات)] وذلك بعد (١٠) أيّام [عمليّاً!] فقط من بدء الحرب [حين قبل (السّادات) عرض (كيسنجر) في (١٦) تشرين الأول - أكتوبر، بوقف إطلاق النّار!] ؛ وذلك في محاولة من (حافظ الأسد) لاسترداد وتحرير باقي أراضي (الجولان).

وهكذا، وبعد توقف القتال على الجبهة المصرية قرّر (حافظ الأسد) خوض «حرب استنزاف» ضد القوات الإسرائيلية شنتها القوّات المسلّحة السّوريّة ضد القوات الإسرائيلية في (الجولان) لتكبيدها أكبر خسائر ممكنة. تركزت الهجمات السورية على منطقة (جبل الشّيخ)، واستمرت (٨٢)يوماً، حتى أثقلت (الولايات المتحدة الأمريكيّة) بضغوطاتها عبر «مجلس الأمن» للتوصل إلى اتفاق لـ «فك الاشتباك العسكري» بين (سورية) و(إسرائيل).

في الرّابع والعشرين من حزيران - يونيو عام (١٩٧٤م) رفع القائد الخالد (حافظ الأسد) العلم السوري في سماء مدينة القنيطرة المحررة؛ إلا أن الإسرائيليين كانوا قد عمدوا إلى تدمير المدينة بشكل منظم، حقداً ولؤماً وثأراً وانتقاماً..، قبل اندحارهم من «المدينة»، وقررت (سورية) عدم إعادة إعمارها قبل عودة كلّ «الجولان» إلى السيادة السورية.

على الصّعيد الدّاخليّ واجهت (سورية حافظ الأسد)، منذ عام (١٩٧٧م) «صراعاً» عنيفاً مع جماعة «الإخوان المسلمين» في سورية، التي أعلنت «العصيان»- مدعومة وممّولة من الرّجعيات العربيّة والحلف الصّهيو - أمريكيّ العالميّ، ومتحالفةً «سياسيّاً» مع أحزابٍ راديكاليّة «سوريّة»، تدّعي «معارضتها («معارضة»!) للدّولة والنّظام السّياسيّ في (سورية)، والتي انضمَّتْ في «تحالف سياسيّ» مع «الإخوان المسلمين» ابتداءً من عام (١٩٨٠م)؛ ودعت لإسقاط «النظام البعثي الحاكم»، وتحول «الصراع» إلى «صراع مسلح» بعد أن قامت الحركة بعمليات اغتيال واسعة بدوافع رجعيّة «دينيّة» و«طائفيّة» و«اجتماعيّة» أخرى، وخاصة بعد تفجير

«الأزبكية» في (دمشق) ومدرسة «المدفعية» في (حلب)، ومحاولة اغتيال الرئيس (حافظ الأسد)، شخصياً، في عام (١٩٨٠م)؛ ما دفع الرئيس (حافظ الأسد) لتكليف «القوات المسلحة السورية» بالقضاء على العصيان.

وبلغت تلك الحرب الإخوانية الإرهابية ذروتها على سورية، في عملية اختطاف مدينة «حماة» في شباط ١٩٨٢ وذبح المئات من حاميتها الأمنية والحزبية ..

وخلال أقل من شهر، جرى القضاء على ذلك التمرد المسلح، وتحرير مدينة حماة من براثن العصابات الإخوانية المسلحة .

وابتداءاً من منتصف ثمانينيات القرن الماضي، واجهت (سورية حافظ الأسد) حصاراً اقتصاديّاً عالميّاً- غربيّاً، خانقاً، ولم يزل حتّى تشدّد على نحو أوسع وأكثر حدّة ووحشيّة مع بداية «الحرب السّوريّة» المعاصرة، منذ (٢٠١١م).

وعلى الصّعيد الخارجيّ أيضاً، اضطلعت (سورية حافظ الأسد) بمهمّة قوميّة بالغة الجسامة، حين قام «الجيش العربي السوري»، بقرارٍ تاريخيّ من (حافظ الأسَد)- وبطلب رسميّ من «الدّولة اللبنانيّة»- في عام (١٩٧٦م) بالدخول إلى لبنان)، لتقوم «القوات المسلّحة السّوريّة» بعدها بإيقاف «الحرب الأهليّة اللبنانيّة»، لمنع انتشارها ووصولها إلى (سورية)، بحكم الرّوابط التّاريخيّة الحيّة بين المجتمعين «السّوريّ» و«اللبنانيّ»، وبخاصّة بعد اجتياح (إسرائيل) الأراضي اللبنانيّة، اجتياحاً شاملاً وصل إلى (بيروت) العاصمة اللبنانيّة، وتهديدها المنطقة بأسرها.

كان قرار (حافظ الأسَد) قراراً حازماً وحاسماً. فبالإضافة إلى «وقف الحرب الأهليّة اللبنانيّة»، ووضع حَدّ لـ «اليمين» المتطرّف الرّجعيّ والإقصائيّ في لبنان، كان على «الجيش السّوريّ» مواجهة «القوّات الإسرائيليّة» الغازية، ومنعها من تحقيق أيِّ أهداف خاصّة بها، أو لدعم «اليمين الانعزاليّ» في (لبنان)، أو تغيير شكل ونظام وجوهر «الحكم اللبنانيّ» الذي كان يُراد له أن يكون «حكماً شكلياً» هزيلاً لخدمة أغراض (إسرائيل) في «المنطقة».

عاصرَ (حافظ الأسَد)، طوال فترة حكمه في (سورية)، من التّحدّيات والصّعوبات والامتحانات التّاريخيّة للدّول والأمم والشّعوب..، كلّ ما يمكن أن يخطر وأن لا يخطر في بال!

أدرك (حافظ الأسَد)، ببصيرته النافذة، التّحوّل الاستراتيجيّ الإقليميّ المباغت مع انتصار «الثّورة الإسلاميَّة»، ثورة (الخمينيّ) في (إيران) عام (١٩٧٩م)، فكان أوّل الأشخاص والدّول الذين انتصروا للثّورة في (إيران) ضدّ حكم «الشّاه» العميل للإمبرياليّة العالميّة وللرّجعيّات المحلّيّة والإقليميّة، ولإسرائيل.

وأدرك (حافظ الأسد) بِمَلَكاتِهِ الاستراتيجيّة الفريدة، مستقبل التّحوّلات الإقليميّة و العربيّة التي مكّنته، سلفاً، من اختيار (الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة)، صديقاً و حليفاً، ومدّ إلى «الثّورة» في (إيران) كلّ يدٍ للدّعم و المساعدة والوقوف معها في جبهة واحدة وخندق مشترك، متحمّلاً كلّ مغبّات «النّقد القوميّ»، سواءٌ منه الصّادر عن الأنظمة الرّسميّة

والرّجعيّات العربيّة، أو ذلك الصّادر عن المثقّفين الطّفـوليين «القـومجيين»!
وهكذا تُثبتُ أحداثُ الحرب السّوريّة المعاصرة، بُعدَ نظر (حـافظ الأسَـد)، ومضاءَ فكره السّياسيّ الثّوريّ.

بعـد انتهـاء عـصر «الحـرب العالميّـة البـاردة» وسـقوط «المعـسكر الاشتراكيّ»، بعد عام (١٩٩١م)، واجه (حافظ الأسـد) امتحانـاً - مأزقـاً سياسيّاً دوليّاً وتاريخيّاً قاسياً. غاب «الاتّحاد السّوفييتيّ» الصّديق والحليـف. وانكشف ظهرُ (سورية) على الأعداء في الدّاخل والخارج والمحيط المحلّي والإقليمي والعالمي ..وكان لا بدّ لـ (حافظ الأسـد) مـن اجـتراح الحلـول والمعجزات. ولم تكن هذه بعيدة المنال، على كلّ حال.

توجّه (حافظ الأسد) إلى إطـلاق المزيـد مـن الدّيموقراطيّـة الحزبيّـة والسّياسيّة، وفاقَ ما تـسمح بـه ظـروف «الخـاصّ» و«العـام»، الاجتماعيّـة والسّياسيّة والاقتـصاديّة، وفـاقَ درجـة التّطـوّر التـي تحكـم «التّحـوّلات الدّيموقراطيّـة»، كـشرط لازمٍ للحفـاظ عـلى مكتـسبات «الدّيموقراطيّـة» نفسها.

هذا بالإضافة إلى «جرعات» معقولة من الحرّيات الثّقافيّة والـسيّاسيّة والاقتـصاديّة، مـا تُـرجم مبـاشرة في تـشريعاتٍ وقـوانين تعـزّز «اللحمـة الاجتماعيّة» الدّاخليّة، وتدعّم المناعة إزاء العالم الخارجيّ.

وعندما نتكلّم عـن الإنجـازات الدّاخليّـة في (سـورية)، والتـي قـام بها (حافظ الأسَد) عـلى كـلّ الـصّعد الاجتماعيّـة والاقتـصاديّة والتّربويّـة والتّعليميّـة والمعيـشيّة والثّقافيّـة والحـضاريّة... لا بُـدّ مـن القـول إنّ

(حافظ الأسد) قد انتقل بـ (سورية) من عهود الانقلابات والمؤامرات والخيانات والتّخلّف والتّبعيّة والمحدوديّة الثّقافيّة والتّخوم الاجتماعيّة القلقة..، إلخ، إلى مجتمع مستقرّ سياسيّاً وآمنٍ وحضاريّ منافسٍ على مستوى العالم..

ومع ذلك، فإننا نختصر ونختزل الكثير من المآثر التي ستبقى وبقيتْ شاهدة في (سورية)، وهذا على رغم كلّ ما أحدثته هذه «الحرب» التي نعيشها في هذه الأيّام، من دمار وتخريبٍ ومآس.

فارقَنا (حافظ الأسد) ورحل عن دنيانا، في العاشر من (حزيران) عام (٢٠٠٠م).

(حافظ الأسَد) شخصيّة سياسيّة قوميّة وعربيّة خالدة. وسنترك الحديث أخيراً للأصدقاء وللأعداء وللخصوم، معاً. فكيف نظر «هؤلاء وأولئك وأولاءِ..» إلى (حافظ الأسد)؟

- الراحل البابا «شنودة» قال:

«الرئيس (الأسد) أهمّ الرجال المجاهدين، فهو يتصف بالصمود والقوة والثبات، وينبغي السير على خطاه ومساره الذي أثبت القدرة على تحدي الصعاب».

- (بيل كلينتون) رئيس أمريكي سابق قال:

«هذه هي المرة الأولى في حياتي التيْ أحسّ أنني وضعت يدي بيد رئيس... لقد أحسست بشعور لا يوصف عندما سلّمت عليه... وعندما

نظرت في وجهه رأيت التاريخ كلّه والعنفوان كله...، في تلك اللحظات بالذّات، حمدت الله على أنه ليس رئيساً لدولة كبيرة، لأنه عند ذلك كان ليحكم العالم من دون منازع».

- الرئيس (ليونيد بريجينف) رئيس الاتحاد السوفييتي، الأسبق :

«إننا دائماً قدّرنا وسنقدّر دور سورية الراسخ وواقعية الرئيس (حافظ الأسد) البنّاءة».

- الرئيس (هاشمي رافسنجاني) رئيس إيراني سابق قال:

«نتمنى لو يسلك كل العرب والمسلمين طريق الحقّ والصّواب الذي سلكه ويسلكه حافظ الأسد».

- (جاك شيراك) رئيس فرنسي سابق قال:

«لقد كان الرئيس (حافظ الأسد) رجل دولة حريصاً على رفعة بلاده وعلى مصير «الأمة العربية»، وكان له دور مرموق في التاريخ طيلة العقود الثلاثة الأخيرة».

- (نلسون مانديلا) رئيس جنوب أفريقيا السابق قال:

«كان الرّئيس (حافظ الأسَد) رجل دولة وسيداً وقوراً في أوقات الحرب كما في أوقات السلم، وكانت مصالح بلاده دائماً في فؤاده».

- (ريتشارد نيكسون) رئيس سابق للولايات المتحدة :

«أعبّر عن إعجابي الشديد بجهود الرئيس (حافظ الأسد) في سبيل تحقيق السلام».

- (جيمي كارتر) رئيس أمريكي سابق:

«لا حلَّ في الشرق الأوسط من دون الاعتراف بوزن الرئيس (الأسد) ودور بلاده الجوهري. الرئيس حافظ الأسد ذكي ونشيط وحريص على استقلال بلاده».

- الرئيس الفرنسي الأسبق (فاليري جيسكار ديستان):

«(الأسد) شخصية قوية دولياً، وله سمعة عظيمة».

- الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون:

«يجب على (الولايات المتحدة) الاعتراف بأن تكون لسورية بقيادة الرئيس (الأسد) الكلمة المسموعة في تقرير مصير لبنان».

- (هنري كسنجر) وزير خارجية أمريكي سابق:

«الرئيس (حافظ الأسد) رجل متأنٍ يحسب الأمور بدقة، إني أُكنّ له احتراماً كبيراً». «لقد حاولت مع (حافظ الأسد) وأنا أعترف أنه الشخص الوحيد الذي هزمني وقهرني في حياتي كلها».

- (كوفي أنان) الأمين العام للأمم المتحدة الأسبق قال:

«لقد كان الرئيس (الأسد) طيلة ثلاثين عاماً الماضية ذا قيمة عالية للأمم المتحدة، وقدَّم مثلاً للقيادة الصامدة».

- (كورت فالدهايم) أمين عام أسبق للأمم المتحدة:

«كان الرئيس حافظ الأسد دائماً مستعداً للتعاون مع الأمم المتحدة بتجرد ونزاهة».

- (ألكسندر دزاسوخوف) رئيس جمهورية أوسيتيا الشمالية :

«إن الرئيس حافظ الأسد يعمل ليل نهار لصالح شعبه ويرى في ذلك مغزى حياته، وأسطع صفحة يتحلَّى بها هذا القائد أنه لا يعيش لنفسه بل لشعبه».

- (كورت فالدهايم) رئيس نمساوي أسبق قال: «إنني أعتزُّ بشكل كبير وعميق بصداقة الرئيس (حافظ الأسد) وأكنُّ له احتراماً وتقديراً».

- (وارن كريستوفر) وزير خارجية أمريكي أسبق قال: «الرئيس (حافظ الأسد) قائد لامع متقد الذكاء ومتحدِّث لبق».

- (جيمس بيكر) وزير خارجية أمريكي أسبق قال:

«لقد كان الرئيس (الأسد) هو المسؤول الوحيد الذي أعجبت به وأحببته وفهمته في منطقة الشرق الأوسط».

- (فيكتور بوسوفاليوك) نائب وزير خارجية روسي أسبق قال: «إن الرئيس (حافظ الأسد) هو أبرز الشخصيات التي التقيت بها في حياتي الدبلوماسية».

- (كريستو فرماهيو) عضو مجلس العموم البريطاني :

«لقد اكتسب السيد الرئيس (حافظ الأسد) بفضل شجاعته، وكذلك الشعب السوري وقواته المسلحة بفضل صمودهم، احتراماً عظيماً في الغرب».

- مجلة شتيرن الألمانية الغربية:«(حافظ الأسد)، الرجل القوي في العالم العربي، وقائد العرب في صراعهم ضد إسرائيل».

- الرئيس السوداني (محمد جعفر نميري) :«الـرئيس (الأسـد) يقـدم مصلحة الأمة العربية على مصلحته الوطنية».

- (غوستاف هوساك) الرئيس التشيكوسلوفاكي:

«سياسة سـورية بقيـادة الأسـد هـي الطريـق لـضمان تحريـر الأرض واستعادة الحقوق».

- (غوستا غوميش) رئـيس برتغـالي سـابق:«(سـورية) تـسعى وراء قائدها (الأسد)، بكل قواها، لتحرير كامل التراب المحتل واستعادة حقوق شعب فلسطين».

- الرئيس الجزائري (الشاذلي بن جديد):«(سـورية) بقيـادة الـرئيس (الأسد) تحمل العبء الثقيل من الكفاح والصمود، جئنـا نـتعلم الـصمود والنضال من سورية».

- الرئيس البلغاري (تيودور جيفكوف):

«شعبنا يكنُّ للـرئيس (الأسـد) مـشاعر الاحـترام الخـالص، ويعـدُّه مناضلاً عربياً بارزاً. إننا نقدر عالياً دور الرئيس (الأسد)».

- العقيد (معمر القذافي):«(حافظ الأسد) بطل وحدوي صامد جـاء من شعب يعشق الوحدة ويضحي من أجلها . سورية بقيادة (الأسـد) آخـر معقل عربي أمام العدو الصهيوني».

- (الشاذلي القليبي) أمين عام أسبق للجامعة العربية:

«سورية (الأسد) ضربت أروع مثل على التمسك بالحق العربي، دائماً، وفي كل المناسبات».

- (روميش شاندرا) رئيس مجلس السلم العالمي: «الرئيس (الأسد) رجل سلام وعدل، وهو مناضل شعبي، وذو رؤية واضحة».

- «نيقولاي شاوشيسكو« رئيس رومانيا: «لا يمكن لأي إنسان أن يتجاهل ما حققه الرئيس (حافظ الأسد) لجعل سورية قوة حقيقية في المنطقة».

- (فيدل كاسترو) رئيس كوبا:

«إننا نقف مع نضال سورية العادل، ونؤيد كل التأييد سياسة الرئيس (الأسد) في تصديه للإمبريالية العالمية. سورية، بقيادة الرئيس حافظ الأسد، قلعة ثورية للتحرر والتقدم».

- (سليمان فرنجية) رئيس لبناني سابق:

«لولا الرئيس (حافظ الأسد) لسرحت (إسرائيل) في المنطقة ومرحت. ولولا تدخل سورية، وحكمة الرئيس الأسد، لكان في لبنان اليوم عشر دويلات. (الأسد) حافظُ كرامة الأمة العربية، مآثر الرئيس (الأسد) في (لبنان) ستظل خالدة، إن الرئيس (الأسد) ضحّى بأبنائه لوقف حمَّام الدم على الأرض اللبنانية».

-(علي عبد الله صالح) رئيس يمني أسبق:

«سورية، بقيادة (الأسد)، جسَّدت معاني الصمود في مواجهة التحديات الصهيونية».

- (خالد الفاهوم) رئيس المجلس الوطني الفلسطيني الأسبق: «قضية الرئيس (حافظ الأسد) هي قضية فلسطين، و(سورية) بقيادته في الموقع المدافع دائماً عن البندقية».

- (تيودور جيفكوف) رئيس بلغاريا: «سورية يقودها رجل عظيم».

- (مارغريت تاتشر) رئيسة وزراء بريطانية:

«الوفاق لا يتحقق في لبنان إلا بتقدير وزن الرئيس (الأسد) والتعاون مع سورية».

- (القس جيسي جاكسون) رئيس مجلس الدفاع عن الحقوق المدنية في أمريكا: «الرئيس (حافظ الأسد) قائد وطني فذّ جدير بكل الاحترام والتقدير».

- صحيفة ليبيراسيون الباريسية:

«الرئيس (الأسد) رجل عام ١٩٨٣، وهو عملاق بين قادة الشرق الأوسط».

- بطريرك السريان الأرثوذكس (مار أغناطيوس زكا الأول): «المناضل (الأسد) رمز للوحدة الوطنية وقائد صمود الأمة».

- الفريق أول (محمد فوزي) وزير الدفاع المصري الأسبق: «إن ترشّح السيد الرئيس (حافظ الأسد) لولاية دستورية جديدة يجسد تطلعات الجماهير العربية في ترسيخ العقيدة القومية». «إن تمسك الرئيس (الأسد) بأهداف الأمة العربية وآمالها هو خير قدوة حسنة لمن يناضل من أجل حرية الوطن والمواطن».

- الدبلوماسي والصحافي الفرنسي إريك رولو:

«الرئيس (حافظ الأسد) يقود انطلاقة حقيقية تشهدها سورية».

- الدكتور عصمت عبد المجيد، الأمين العام الأسبق لجامعة الدول العربية: «إن حكمة الرئيس (الأسد) وصلابة مواقفه في الدفاع عن حقوق الأمة وكرامة الوطن جعلت منه القائد الذي تلتف حوله جموع الأمة من المحيط إلى الخليج. «إن روح الكفاح التي يتميز بها الرئيس (الأسد) والتي قهرت الاحتلال الإسرائيلي وحطمت أسطورة الجيش الذي لا يقهر في حرب تشرين عام (١٩٧٣م) لقادرة على تحرير كل شبر من الجولان المحتل والأراضي العربية المحتلة في جنوب لبنان وفلسطين».

- (لوسيان بيترلان) رئيس جمعية التضامن الفرنسية العربية:

«إن حرب تشرين التي قادها الرئيس (الأسد) أثبتت للعالم أن إسرائيل لم تعد تلك القوة التي لا تقهر».

- سماحة الشيخ (أحمد كفتارو) رئيس مجلس الإفتاء الأعلى في سورية: «إن تجديد البيعة للسيد الرئيس (حافظ الأسد) يعني الثبات على الحق والمبادئ والتمسك بالقيم النضالية التي جسَّدها منذ فجر الحركة التصحيحية المباركة».

- سماحة الشيخ (محمد مهدي شمس الدين) رئيس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان: «إن متابعة الرئيس (حافظ الأسد) لولايته وقيادته في سورية على مستوى القضية العربية والإسلامية، وعلى مستوى الصراع مع العدو الصهيوني، هو أحد أفضل خيارات العرب في سورية والوطن العربي».

- (ميشيل جوبير) وزير خارجية فرنسا الأسبق:

«سورية بقيادة الرئيس (الأسد) تتحمل مسؤولياتها بشرف وشجاعة».

- الشاعر المصري الكبير (أحمد عبد المعطي حجازي): «إنّ (سورية) في ظل القائد العربي (حافظ الأسد) أصبحت قلعة للثقافة العربية وهي الانتماء القومي الذي لا يتبدل ولا يتغير، وهي الصمود الذي نفزع إليه في يوم الفزع».

- الصحافي الجزائري (سهيل الخالدي):

«أحيي مواقف سورية بقيادة السيد الرئيس (حافظ الأسد) دفاعاً عن حقوق الأمة العربية، هذه المواقف التي جعلت من سورية رقماً سياسياً عالمياً ومفتاح الاستقرار في المنطقة».

- (هايتز فيشر) رئيس البرلمان النمساوي الأسبق قال: «تعيش سورية، في ظل قيادة الرئيس (حافظ الأسد)، حالة تقدم وازدهار».

- (فيكتور كليما) مستشار نمساوي أسبق: «إن الرئيس (حافظ الأسد) هو شخصية عظيمة وفذَّة وضع (سورية) في مكانة الاحترام والصداقة مع الدول الأوروبية».

- (باتريك سيل) صحافي ومحلل سياسي بريطاني:

«إن الرئيس (الأسد) أسس قواعد صلبة للقيادة وسمعة ممتازة، وحقّق رصيداً كبيراً من النجاح والعلاقات على مختلف المستويات.

بالطبع، كانت صدمة هزَّت الأمريكيين وهـزَّت «شـولتز» شخـصياً. دولة صغيرة مثل سورية تتصدى للولايات المتحدة القوية وتقول لها : «لـن تفرضي إرادتك». هذه هي التركة التاريخية للأسد، وهو وحـده بـين القـادة العرب مَن رفض أن ينحني لواشـنطن وإسرائيـل، وأن يخـضع لأوامرهما. إنَّ الرئيس (الأسد) هو الأكثر جـدارة بـالاهتمام مـن كـل القـادة العـرب، وهناك ترابط وثبات في موقفه وفي مبادئه».

- صحيفة لوفيغـارو الفرنـسية: «إن الـرئيس الأسـد يتمتـع بـشعبية واسعة وكبيرة، وهذا موقف عزَّز من مكانتـه الـوطنيـة والعربيـة والدوليـة، وتعدُّ سياسته سياسة بناءة».

- (ويلتـون ديـن) مـدير مكتـب مجلـة (تـايم) الأمريكيـة في الـشرق الأوسط قال:

«سورية بقيادة السيد الرئيس (حافظ الأسد) قلب العالم العربي، وهي تتدفَّق حيوية، خاصة بعد الحركة التصحيحية».

- (بول ماري دو لاغورس) كاتب ومحلل سـياسي فرنـسي قـال: «إن الرئيس (حافظ الأسد) منح سورية قوة حقيقية فأصبحت تحت قيادته قوية من النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية».

-المطران (هيلاريون كبوتشي) مطـران القـدس في المنفـى: «الـرئيس (حافظ الأسد) جعل مـن سـورية القلعـة الحـصينة المدافعـة عـن المـصالح القومية لأمتنا الخالدة».

- (سيفر أتزا) رئيس المكتب الثقافي في التلفزيون الإيطالي:

«الرئيس (الأسد) هو أعظم القادة في المنطقة وقد أتاحت سياسته الحكيمة لسورية تعزيز دورها الأساسي في المنطقة، وإبراز قدرتها وعطاءاتها على المستوى الدولي».

- البروفيسور (ألكسندر فيليونيك):«بفضل شخصية الرئيس (الأسد) التي تحمل طاقة جبارة لا تنضب أحرزت سورية نجاحات باهرة على الصعيد الاقتصادي».

هوّاري بومدين

-٩-

هوّاري بومدين

محمد إبراهيم بوخروبة

ولد (هوّاري بومدين)- [واسمه الحقيقيّ محمّد إبراهيم بوخرّوبة]- في (٢٣) آب- أغسطس من العام (١٩٣٢م)، في «دوّار بني عديّ» (العرعرة) مقابل جبل (دباغ)، بلدية (مجاز عمار) على بعد بضعة كيلومترات غرب مدينة (قالمة)، وسُجّل في سجلات الميلاد في بلدية (عين إحسانيّة) [كلوزال سابقاً]. وهو ابن فلاح بسيط من أسرة كبيرة العدد ومتواضعة الحال تنتمي إلى قبيلة (عرش بني فوغال) التي نزحت من ولاية (جيجل)، «منطقة القبائل» عند بداية الاحتلال الفرنسي.

في صغره، كان والده يحبه كثيراً، فرغم ظروفه المادية الصعبة قرَّر تعليمه، فأدخله «الكتّاب» (المدرسة القرآنية)في القرية التي ولد فيها، وكان عمره آنذاك ٤ سنوات.

عندما بلغ سن السادسة دخل مدرسة (ألمابير) سنة (١٩٣٨م) في مدينة (قالمة) - (وتحمل المدرسة اليوم اسم مدرسة محمد عبده) - يدرس

في «المدرسة الفرنسية» وفي الوقت نفسه يلازم «الكتّاب». كان والده يقيم في (بني عديّ)، فأوكل أمره إلى أسرة (بني إسماعيل)، وذلك مقابل «الفحم» أو «القمح» أو «الحطب»، كأجور إقامة، وهي ما كان يحتاجه «سكان المدن» في ذلك الوقت.

وبعد عامين قضاهما في دار (بني إسماعيل) أوكله والده من جديد لأسرة (بامسعود بدار سعيد بن خلوف) في حي (مقادور)، والذي كان حيّاً لليهود في ذلك الوقت (شارع ديابيحاليا).

بعد ثمانية أعوام من الدراسة في (قالمة) عاد إلى قريته في (بني عديّ)، وطيلة هذه السنوات كان (بومدين) مشغول البال شارد الفكر، لا يفعل ما يفعله الأطفال . كان بومدين يدرس في «المدرسة الفرنسية» وفي نفس الوقت يلازم «الكتّاب» من طلوع الفجر إلى الساعة السابعة والنصف صباحاً، ثمّ يذهب عند الساعة الثامنة إلى «المدرسة الفرنسية» حتّى الساعة الرابعة، وبعدها يتوجّه إلى «الكتّاب» مجدداً.

في عام (١٩٤٨م) ختم «القرآن الكريم»، وأصبحَ يُدَرّس أبناء قَريتِه (القرآن) واللغة العربيّة.

في عام (١٩٤٩م) ترك (محمد بوخروبة)- أو (هواري بومدين)- أهله مجدداً وتوجَّه إلى المدرسة الكتانية في مدينة (قسنطينة) الواقعة في الشرق الجزائري، وكان نظام المدرسة «داخلياً». كان الطلبة يَقُومون بأعباء الطبخ والتنظيف.

في تلك الآونة كان عمّه الحاج (بوخروبة) قد عاد من أداء «فريضة الحجّ» مشياً على الأقدام. وبعد عودته، ذهب إليه (هواري بومدين) ليقدِّم له التهاني، وكان (هواري) يسأل عمّه عن كل صغيرة وكبيرة في سفره إلى «الديار المقدسة»، وكان عمه يخبره كل التفاصيل ودقائق الأمور، وكيف كان «الحجّاج» يتهرّبون من «الجمارك» و«الشرطة» عند الحدود. وحدثّه عن الطرق التي كان يسلكها «الحجّاج»، وكان (بومدين) يسجّل كل صغيرة وكبيرة. كان (بومدين) يخطط للسفر فأطلع ثلاثة من زملائه في المدرسة «الكتانية» على نيّته في السفر، وعرض عليهم مرافقته فرفضوا ذلك لأنهم لا يملكون جواز سفر، فأطلعهم على خريطة الهروب وقال: «هذا هو جواز السفر».

كانت السلطات الفرنسية تعدُّ الجزائريين «فرنسيين» وتفرض عليهم الالتحاق بالثكنات الفرنسية عند بلوغهم سن الثامنة عشرة. استُدعي (هوّاري) للالتحاق بالجَيش الفرنسي، لكنّه كان مؤمناً في قرارة نفسه بأنه لا يمكن له الالتحاق بجيش العدو، وخدمة «العلم الفرنسيّ». ولذلك، رأى أنّ المخرج هو في الفرار والسفر.

عندما تمكَّن من إقناع رفاقه بالسفر باعوا ثيابهم وفرّوا برّاً إلى تونس عام (١٩٤٩م).

التحق في تلك الحقبة بـ «جامع الزيتونة»، في (تونس)، الذي كان يقصده العديد من الطلبة الجزائريين.

في عام (١٩٥٠م) توجَّـه (بومـدين) مـن (تـونس) إلى (مـصر) عـبر «الأراضي الليبية». وفي مصر، التحق وصـديقه (بـن شـيروف) بـ «جـامع الأزهر الشريف» حيث درس هناك وتفوق في دراسته.

كان (بومدين) يقسّم وقته بين «الدراسة» و«النضال السياسي»، فقـد كان منخرطاً في «حزب الشعب الجزائريّ»، وكان يعمل، في الوقـت نفـسه، ضمن «مكتب المغرب العربي الكبير». وكان هذا «المكتب» قد أسّسه زعـماء جزائريون ومغاربة وتونـسيون تعاهـدوا فـيما بيـنهم عـلى محاربـة (فرنـسا) وألّا يضعوا السلاح حتى تحرير الـشمال الأفريقـي. كـان مـن مؤسـسي هـذا «المكتب» (علّال الفاسي) من (المغرب) و(صالح بـن يوسـف) مـن (تـونس) و(أحمد بن بلّة) و(آيت أحمد) من (الجزائر). وكان هذا «المكتـب» يـنظّم طلبـة «المغرب العربي» الذين يدرسون في الخارج.

في ١ تـشرين الثّـاني – نـوفمبر عـام (١٩٥٤م) انـدلعتْ «الثـورة الجزائريـة»، فانـضمّ (هـوّاري بومـدين) إلى «جـيش التحريـر الـوطني» في «المنطقة الغربية».

في العام (١٩٥٦م) أشرف على تـدريب وتـشكيل خلايـا عـسكرية، وقـد تلقـى في (مـصر) التـدريب، واختـير مـع عـدد مـن رفاقـه لمهمـة حمل الأسلحة.

في العام (١٩٥٧م) أصبح مشهوراً، نهائيّاً، باسمه العسكري (هواري بومدين)، تاركاً اسمه الأصلي (بوخروبة محمد إبـراهيم)، وتـولَّى مـسؤولية الولاية الخامسة إلى عام ١٩٦٠م.

في العام (١٩٥٨م) جعل منه رصيده العلميّ، ومسؤوليته العسكريّة، شخصاً مهيّئاً ليحتل موقعاً متقدماً في «جيش التحرير الوطني».

تدرَّج (هوّاري بومدين) في «رتب الجيش» إلى أن أصبح قائداً لمنطقة «الغرب الجزائري».

في العام (١٩٦٠م) أشرف على تنظيم «جبهة التحرير الوطني» عسكرياً ليصبح «قائد الأركان»، حتى استقلال(الجزائر)، في الخامس من تموز - يوليو عام (١٩٦٢م).

عيّن (هوّاري بومدين) بعد «الاستقلال» وزيراً للدّفاع؛ ثم «نائباً لرئيس مجلس الوزراء» عام (١٩٦٣م) دون أن يتخلى عن منصبه وزيراً للدّفاع.

بعد أن حاول (أحمد بن بلّة)، أوّل رئيس للجزائر بعد «الاستقلال»، تقليص نفوذ جماعة «وَجدة» [(وَجدة): هي مدينةٌ «مغربيّة»، تقع في أقصى شرق «المملكة المغربيّة» في الحدود مع (الجزائر)؛ وتعدُّ عاصمة الشّرق المغربيّ] وعلى رأسها (هواري بومدين). تحول انتقاد سياسة (بن بلّة) إلى «إجماع» بضرورة الإطاحة به والقضاء على سياسة الحكم الفردي التي يتبناها، وذلك بعد «جسّ النبض» الذي قام به بومدين و«جماعة وجدة» للأطر السياسية والعسكرية للدولة، وقبل أيام معدودة من انعقاد «المؤتمر الآفرو- آسيوي»، اجتمع «الانقلابيّون» في بيت (هواري بومدين) للتخطيط للإطاحة بالرّئيس(أحمد بن بلّة).

كان (بن بلّة) في بيته عندما اعتُقِل عند السّاعة (الواحدة) صباحاً من يوم (١٩)حزيران - يونيو من عام (١٩٦٥م)، في «فيلا جولي»، على يد (طاهر زبيري) برفقة الرائد (محمد صالح يحياوي) والرائد (سعيد عبيد) والرائد (عبد الرحمن بن سالمو) وبعض الجنود، فأصبح (بن بلّة) «مسجوناً» بعد أن كان يعدُّ نفسه «المؤسس الثاني» للدولة الجزائرية بعد (الأمير عبد القادر الجزائريّ)؛ وأُبلغ (بومدين) الذي كان يقيم في «وزارة الدفاع» بإتمام العملية.

اصطلح «القادة» على تسمية هذا «الانقلاب» باسم «التّصحيح الثّوريّ».

تولى (هوّاري بومدينْ) الحكم في (الجزائر) عن طريق «انقلاب عسكري» على «الرئيس المدني» (أحمد بن بلة) من (١٩) حزيران- يونيو عام (١٩٦٥م) واستمرَّ حتّى كانون الأول - ديسمبر عام (١٩٧٨م)؛ وكان أول الأمر رئيساً لـ «مجلس التصحيح الثوري»، ثمّ انتُخبَ «رئيساً للجمهورية الجزائرية» في العام (١٩٧٥م).

تمكن (هواري بومدين) من «ترتيب البيت الداخلي» بسرعة قياسيّة، نسبيّاً، وشرع في تقوية «الدولة» على «المستوى الداخلي».

كانت أمامه ثلاثة «تحدّيات»: الزراعة والصناعة والثقافة.

على مستوى «الزراعة» قام (هوّاري بومدين) بتوزيع آلاف الهكتارات على الفلاحين الذين كان قد وفَّر لهم المساكن من خلال مشروع ألف قرية

سكنية للفلاحين، وأجهز على معظم «البيوت القصديرية» و«الأكواخ» التي كان يقطنها الفلاحون، وأمدّ الفلاحين بكل الوسائل والإمكانات التي كانوا يحتاجونها.

ازدهر «القطاع الزراعي» في عهد (هواري بومدين) واسترجع حيويته التي كانت عليها أيام «الاستعمار الفرنسي» عندما كانت (الجزائر) «المستعمرة» تصدّر ثمانين في المئة من الحبوب إلى (أوروبا؛) وكانت «ثورة بومدين الزراعية» خاضعة لاستراتيجية دقيقة بدأت بالحفاظ على الأراضي الزراعية المتوفرة، وذلك بوقف «التصحر» وإقامة حواجز كثيفة من الأشجار أهمها «السد الأخضر» للفصل بين «المناطق الصحراوية» و«المناطق الصالحة للزراعة»؛ و قد أوكلت هذه المهمة إلى الشبّان الجزائريين الذين كانوا يقومون بـ «الخدمة الوطنية».

في(١٤) تموز- يوليو من العام (١٩٧١م) اجتمع «مجلس الثورة» و«مجلس الوزراء» برئاسة الرئيس (هواري بومدين) ليُنهوا في أثناء جلستهم «السادسة»، هذه، دراسة الصيغة النهائية لمشروع الميثاق المتعلق بـ «الثورة الزراعية».

تمثلت «الثورة الزراعية» في كونها نابعة من ضرورة تاريخية وسياسية، إذ شكّلت إجراء شاملاً من بين العوامل المحددة والمحفّزة للنشاط الزراعي والحياة في المناطق الريفية وفاقاً للتعريف الذي أعطي لهذا «المشروع» آنذاك.

شكلت «الثورة الزراعية»، بالفعل، انطلاقة جديدة للاقتصاد الزّراعيّ الجزائري، وكان من شأنها أن تسمح بالوصول إلى أفق حقيقي

للتنمية من خلال عمل منسق ومتواصل على «العوامل البشرية» و«المادية» التي تعوق مسار النمو. وكانت الصيغة المصادق عليها لمشروع الميثاق المتعلق بالثورة الزراعية تحمل آفاقاً مستقبلية كونها لم تقتصر على عمليات استصلاح ومنح الأراضي فقط بل وفّرت أيضاً الظروف الملائمة لـ «التنمية الريفية» الشّاملة.

وعلى صعيد «الصناعات الثقيلة» قام (هوّاري بومدين) بإنشاء مئات المصانع الثقيلة التي كان خبراء من دول الكتلة الاشتراكية ومن الغرب يسهمون في بنائها.

كان من «القطاعات» التي حظيت باهتمامه قطاع الطاقة. معروف أن (فرنسا) كانت تحتكر إنتاج «النفط« الجزائري وتسويقه، إلى أن قام (هواري بومدين) بتأميمه، الأمر الذي انتهى بتوتّر العلاقات الفرنسية- الجزائرية.

أدّى «تأميم المحروقات» في (الجزائر) إلى توفير «سيولة نقديّة» نادرة للجزائر، أسهمت في دعم بقية القطاعات الصناعية والزراعية.

في عام (١٩٧٢م) كان (هوّاري بومدين) يقول إنّ (الجزائر) ستخرج بشكل كامل من «دائرة التخلف»، وسوف تصبح «يابان الوطن العربي».

بالتوازي مع «سياسة التنمية الشّاملة»، قام (هوّاري بومدين) بوضع ركائز «الدولة الجزائرية الحديثة»، وذلك من خلال وضع «دستور» و«ميثاق

للدولة»، أسهمت «القواعد الجماهيرية» في إثراء كلّ منهما، وأسهما في ترتيب «البيت الجزائري» ووضع ركائز ثابتة من أجل «الجزائر الحديثة». ثم انتُخب «المجلس التشريعي» انتخاباً حرّاً «ديموقراطيّاً».

هذه هي «الخطوط العريضة» لسياسة (هوّاري بومدين) على المستوى الداخلي، التي استقطب فيها الجماهير الجزائريّة لخدمة «الوطن» و«الدّولة».

على الصّعيد الخارجيّ انفتحت (الجزائر) في عهد (هوّاري بومدين) على مختلف دول العالم، وكانت علاقات (الجزائر) وثيقة، بخاصّة، مع «الدّول الاشتراكيّة».

وفي عهده، افتُتح أوّل «مكتب» تمثيليّ لـ (فلسطين) في (الجزائر)، فقد أوفدت «منظمة التّحرير الفلسطينيّة» مندوبها (سعيد السّبع) إلى (الجزائر) في صيف عام (١٩٦٥م)؛ ومنح (هوّاري بومدين) المقرّ الذي كان يشغله (ديغول) في الجزائر..، لممثّليّة «منظمة التّحرير الفلسطينيّة»، مقرّاً لها، تعبيراً من (بومدين) عن حرصه «الثوريّ» على القضايا العربيّة والقوميّة، ولإيمانه المبدئيّ بحقّ الشّعوب في تقرير مصائرها.

حضر (هوّاري بومدين) في عام (١٩٧٠م) مؤتمر نواديبو في موريتانيا، بخصوص تقسيم «الصحراء الغربيّة» بين المغرب وموريتانيا، بحضور الرئيس الموريتاني (المختار ولد داده) وملك المغرب الراحل (الحسن الثاني)، وكان موقفه صريحاً بشأن قضيّة «النّزاع الصّحراوي»، إلى جانب «جبهة

البوليساريو». وفي لقاء له مع الرّئيس الموريتاني (ولد داده) هدد (بومدين)، الرئيس الموريتاني بمدينة (بشار) الجزائرية في بداية السبعينيات وطلب منه الابتعاد عن الصحراء. وسخّر (بومدين) الدبلوماسية الجزائرية لدعم موقف بلاده من قضية النزاع الصحراوي، ونتج عن ذلك أن اعترفت - آنذاك- (٩٨) دولة بـ«الجمهورية العربية الصحراوية الدّيموقراطيّة» التي أعلنتها «جبهة البوليساريو»، الأمر الذي أدّى إلى انسحاب (المغرب) من منظمة الوحدة الأفريقية.

في عام (١٩٧٦م) منحت «الأمم المتّحدة» الرّئيس (هوّاري بومدين)، «ميدالية السّلام»، اعترافاً منها بجهوده المتواصلة في الدّفاع عن قضايا الحقّ العالميّة، ومبادئ السّلم والعدالة الدّوليين.

قليلون الذين يعرفون أنّ (هوّاري بومدين) هو صاحب المقولة الشهيرة: «نحن مع فلسطين، ظالمة أو مظلومة».

في مذكراته عن الحرب، كشف الفريق (سعد الدين الشاذلي) رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصريّة، في تلك الفترة، على قناة الجزيرة القطرية :

« أن دور (الجزائر) في «حرب أكتوبر» كان أساسياً؛ وقد عاش (بومدين) ومعه كل «الشعب الجزائري» تلك الحرب بكل جوارحه، فقد اتصل (بومدين) بالسادات، مع بداية الحرب، وقال له إنه يضع كل إمكانات الجزائر تحت تصرف القيادة المصرية».

وشاركت (الجزائر)، عسكريّاً، في حرب تشرين الأوّل - أكتوبر عام (١٩٧٣م) على «الجبهة المصرية» بالفوج الثامن للمشاة الميكانيكية، وبمثله على الجبهة السورية، وكان الرئيس هواري بومدين قد طلب من الاتحاد السوفييتي شراء طائرات وأسلحة لإرسالها إلى المصريين .

وما لا يمكن أن ينساه السوريون وشرفاء العرب، هو الموقف المشرّف للجزائر بقيادة الرئيس الخالد «بومدين» سواء في حرب تشرين عام ١٩٧٣، أو في الدفاع الصلب عن فلسطين والقضية الفلسطينية، أو في الوقوف الفعلي ضد اتفاقيتي «كامب ديفيد» التي عقدها السادات مع الإسرائيليين. «.. ولكن الموت لم يمهله، وفارق الحياة في ريعان شبابه وهو لم يتجاوز السادسة والأربعين من العمر، وفي عزّ حاجة أمته العربية إليه» .

فارق الرّئيس (هوّاري بومدين) الحياة في ٢٧ كانون الأوّل- ديسمبر من عام (١٩٧٨م). وكان (عبد العزيز بوتفليقة) [الرّئيس الجزائريّ الحاليّ]، يومها، وزيراً للخارجيّة؛ قال في تأبين ووداع الرّاحل: «بأرواحنا نفديكَ لو كان يُقبلُ منّا الفداء»!

للرّئيس الرّاحل (هوّاري بومدين) كلماتٌ تحفظها الذّاكرة القوميّة العربيّة:

«هل الأمة العربية مستعدة لبذل الثمن الغالي الذي تتطلبه الحرية؟ إن اليوم الذي يقبل فيه العرب دفع هذا الثمن هو اليوم الذي تتحرر فيه فلسطين».

و..« إن تاريخ الشعوب ليس إلا سلسلة من المعـارك المتنوعـة تخـرج ظافرة من معركة لتدخل مزودة بسلاح جديد إلى معركة جديدة، فإذا كنا قد خرجنا من معركة الاستقلال فإن ذلك ليس إلا سـلاحاً لابـد منـه لخـوض معركة أخرى هي معركة النهضة والرقي والحياة».

و..«الجزائر مع فلسطين ظالمة أو مظلومة».

آيـة اللّٰه
روح اللّٰه الخمينـيّ

-١٠-

آية الله روح الله الخمينيّ

(فيلسوف لاهوتي ومرجع ديني وقائد ثورة ورجل دولة)

ولد «الإمام (الخمينيّ)» (السيد أبو مصطفى، روح الله بن مصطفى بن أحمد الموسوي الخميني) في (٢٤) أيلول- سبتمبر عام(١٩٠٢م)، في مدينة (خُمين) التّابعة للمحافظة المركزيّة في (إيران)، (طهران).

كان والده السيد (مصطفى الخميني) أحد «علماء الشيعة»؛ درس «علوم الفقه» والمعارف الإسلامية في (النجف الأشرف) لعدة سنوات. عاصر (مصطفىِ الموسوي)- أبو (الخميني)- (الميرزا الشيرازي)؛ وبعد أن بلغ مرتبة «الاجتهاد» عاد إلى (إيران) ليقيم في (خُمين) ويصبح موجِّهاً للناس في أمور دينهم. عندما كان في طريقه من (خمين) إلى (آراك) اعترضه مسلحون أطلقوا النار عليه وأردوه قتيلاً. كان عمر (الخميني)، حينها، خمسة أشهر.

بعد اغتيال أبيه، أمضى (الخميني) طفولته في أحضان والدته (هاجر)- [من حفَدَة محمد حسين الخوانساري، صاحب زبدة التصانيف]-

ورعاية عمته (صاحبة خانم)؛ حتى إذا ما بلغ (الخامسة عشرة) من عمره، فقَدَ هاتين «الراعيتين».

بدأ (الخمينيّ) دراسة «القرآن» وهو في السادسة من عمره. اهتم بالدراسات الدينية وارتياد «الحوزات العلمية»، ودرس جانباً من المعارف الدينية الشائعة في عصره و«مقدمات العلوم والسطوح» [المرحلة المتوسّطة: مقدّمات الفلسفة والاستدلال] المعروفة في الحوزات الدينية، كما درس «آداب اللغة العربية» و«المنطق» و«الفقه» و«الأصول»؛ على أساتذة وعلماء منطقته [كالميرزا (محمود افتخار العلماء)، والميرزا (رضا النجفي الخُميني) والشيخ (علي محمد البروجردي) والشيخ (محمد الكلبايكاني) و(عباس الأراكي)؛ وقبل كلّ هؤلاء، أخوه الأكبر (مرتضى بسنديده) الذي أمضى عنده أكثر وقته الدراسي]. سافر بعد ذلك - عام (١٩١٩م) - إلى (آراك) ليواصل دراسته الدينية في حوزتها.

بُعيد انتقال الشيخ (عبد الكريم الحائري اليزدي) مؤسس وزعيم «الحوزة الغلمية» في (قُم) إلى هذه المدينة، التحق(الخميني) بالحوزة العلمية في (قُم) في أيلول- سبتمبر عام (١٩٢١م).

طوى (الخُمينيّ) سريعاً مراحل «دراسته التكميلية» في الحوزة العلمية على أيدي أساتذتها. كما أكمل دروس مرحلة السطوح على يد محمد تقي الخوانساري، وعلي اليثربي الكاشاني. كذلك أتمَّ دروس خارج الفقه والأصول على زعيم الحوزة العلمية في قم الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي.

وتزامناً مع دراسته الفقه والأصول على أيدي الفقهاء والمجتهدين، درس «الرياضيّات» و«علم الهيئة» و«الفلسفة» على (أبي الحسن الرفيعي القزويني)، ثم واصل دراسته مع «العلوم المعنوية» و«العرفانية» لدى الميرزا (علي أكبر الحكيمي اليزدي)، كما درس «علم العَروض» و«القوافي» و«الفلسفة الإسلامية» و«الفلسفة الغربية» على الشيخ (محمد رضا مسجد شاهي الأصفهاني)، ودرس «الأخلاق» و«العرفان» على الميرزا (جواد الملكيّ التّبريزيّ)، ثم درس العرفان النظري والعملي، لمدة ستة أعوام على الميرزا (محمد علي الشاه آبادي).

بعد وفاة الشيخ الحائري اليزدي مؤسّس وزعيم الحوزة العلمية في قُم، أثمرت الجهود التي بذلها روح الله الخميني برفقه عدد من المجتهدين في الحوزة العلمية في قُم في إقناع الشيخ حسين البروجردي للمجيء إلى هذه المدينة وتسلم زعامة الحوزة العلمية فيها. وفي أثناء هذه الفترة عُرف الخميني بصفة أحد المدرسين والمجتهدين وأولي الرأي في الفقه والأصول والفلسفة والعرفان والأخلاق.

مارس الخميني التدريس على مدى سنوات طويلة في «الحوزة العلميّة» في (قُم)، فدرّس عدّة دورات في «الفقه» و«الأصول» و «الفلسفة» و «العرفان» و «الأخلاق الإسلامية» في كل من «المدرسة الفيضيّة» و«مسجد الأعظم» في (قُم)، ومسجد «محمدية» ومدرسة «الحاج ملا صادق» و«مسجد السلماسي» وغيرها؛ كما مارس تدريس «الفقه» و«معارف أهل البيت» في «الحوزة العلمية» في «النّجف الأشرف» في مسجد «مرتضى

الأنصاريّ» لما يقارب الأربعة عشر عاماً. وفي «النجف الأشرف» طرح ـ ولأول مرة ـ «أسس الحكومة الإسلامية» عبر سلسلة الدّروس التي ألقاها في موضوع «ولاية الفقيه».

اعتُرِفَ بـ (الخمينيّ)، مبكراً، مرجعيّةً؛ فبعد وفاة السيد (البروجردي)، اجتمع حوله كثير من روّاد العلم من مريديه يطلبون منه طبع الرسالة العملية، فامتنع عن ذلك؛ وطبع «حاشيته» على «وسيلة النجاة» للسيد (أبو الحسن الأصفهاني)، ثم «حاشيته» على «العروة الوثقى». وبعد وفاة السيد (محسن الحكيم) عاد إليه الكثيرون في الأحكام الشرعيّة.

تزوّج (الخمينيّ) في العام (١٩٢٩م)، وأنجب ثمانية أبناء.

عرف (الخمينيّ)، في طفولته، أنَّ اغتيال والده كان نتيجة دفاعه عن حقوقه وحقوق أهل منطقته ووقوفه في وجه الإقطاعيين وعملاء «حكومة الشّاه» آنذاك. وكانت أسرة (الخميني) قد أَلِفَت الهجرة والجهاد..

يستعرض الخميني بعض ذكرياته عن «الحرب العالميّة الأولى»، وكان حينها يبلغ من العمر اثني عشر عاماً. يقول:

«إنَّني أتذكر كلتا الحربين العالميتين. كنت صغيراً إلا أني كنت أتذكر كيف تعرَّضت بلادنا للاجتياح في الحرب العالمية الأولى» .

ويذكر (الخميني)، في موضع آخر، أسماء بعض الإقطاعيين الذين كانوا يمارسون النهب والاعتداء على أعراض الناس وأموالهم مدعومين من الحكومة المركزية آنذاك. يقول:

«كنت في الحرب منذ طفولتي ... فقد كنا نتعرَّض لهجمات «الأشرار»، وكانت عندنا بندقية. أذكر أني كنت أقارب البلوغ آنذاك فكنت أذهب مع البقية لاتخاذ مواقعنا في الخنادق المعدّة للدفاع ضد هجوم الأشرار الذين كانوا يقصدون الإغارة علينا. نعم، كنا نذهب هناك ونتفقد الخنادق».

ويقول:

«كنّا مضطرين إلى إعداد الخنادق في (خُمين) - المنطقة التي كنّا نعيش فيها - وكانت عندي بندقية، غير أني كنت لا أزال حينها يافعاً لم أناهز الثامنة عشرة بعد، وكنت أتدرّب على البندقية وأحملها. نعم، كنا نذهب للتحصّن في الخنادق ونواجه هؤلاء الأشرار الذين كانوا يغيرون علينا. لقد كان الوضع متسماً بالفوضى والهرج والمرج، ولم يكن لدى الحكومة المركزية قدرة السيطرة على الأوضاع، وفجأة سيطروا على (خمين) فهبّ الناس لمواجهتهم وحملوا السلاح، وكنت بين من حملوا السلاح» .

واصل (الخميني) النضال طوال فترة الدراسة بأساليب مختلفة، بما فيها مقارعته المفاسد الاجتماعية والانحرافات الفكرية والأخلاقية.

في عام (١٩٤٣م)، ومن خلال تأليفه ونشره كتاب «كشف الأسرار»، قام (الخميني) بفضح جرائم فترة العشرين عاماً من حكم (رضا بهلوي)، والد الشاه المخلوع؛ كما تولّى الرد على شبهات المنحرفين دفاعاً عن الإسلام و«علماء الدين». كما أثار في هذا الكتاب فكرة «الحكومة الإسلامية» وضرورة النهوض لإقامتها.

انطلق الخميني في نضاله العلني ضد الشاه عام (١٩٦٢م)، وذلك حينما وقف بقوة ضد «لائحة مجالس الأقاليم والولايات» التي كان محورها محاربة الإسلام، إذْ إنّ المصادقة على هذه «اللائحة» من الحكومة آنذاك كانت تعني حذف الإسلام شرطاً في المرشحين والناخبين، وكذلك القبول بحذف «اليمين الدستورية» بـ «القرآن». قام (الخميني) بمعارضة هذه اللائحة، ودعا «المرجعيّات الدّينيّة» في «الحوزات العلمية» وأبناء الشعب للانتفاضة و«الثورة». وبسبب إرسال برقيات التهديد التي بعثها الخميني إلى «رئيس الوزراء» في ذلك الوقت، وخطاباته ضد حكومة (الشّاه)، وتأييد «المرجعيّات الدّينيّة» لمواقفه، انطلقت المسيرات الشعبية الحاشدة في كلٍّ من مدينة (قُم) و(طهران) والمدن الأخرى، ممّا اضطرّ «نظام الشّاه» إلى إلغاء اللائحة والتّراجع عن مواقفه.

في (٢١) آذار- مارس من عام (١٩٦٣م)، أقدمت قوّات «الشّاه» على مهاجمة «المدرسة الفيضيّة» في مدينة (قُم)؛ وما هي إلَّا فترة وجيزة حتى انتشر خطاب (الخميني) وتصريحاته حول هذه الفاجعة في مختلف أنحاء (إيران).

وفي ٣ حزيران - يونيو عام (١٩٦٣م) أشار (الخميني) عبر خطاب حماسي، إلى «العلاقات السرّية» القائمة بين الشاه و(إسرائيل) ومصالحهما المشتركة. ونحو الساعة الثالثة بعد منتصف ليل اليوم التالي، حاصرت «القوات الحكومية الخاصة» بيته، واعتُقل وأُرسل مكبّلاً إلى (طهران).

انتشر خبر اعتقال (الخميني) بسرعة في مختلف أنحاء إيران. وما إن سمعت الجماهير خبر اعتقاله حتَّى نزلت إلى الشوارع منذ الساعات الأولى من فجر الخامس من حزيران- يونيو (١٩٦٣م)، وراحت تعبّر عن استنكارها عملَ «الحكومة» في تظاهرات حاشدة، أعظمها تظاهرة مدينة (قُم)، التي شهدت أكبر هذه الاستنكارات، والتي هاجمتها قوات النظام بالأسلحة الثقيلة، وكانت نتيجتها سقوط العديد من المتظاهرين مضرّجين بدمائهم.

مع إعلان نظام الشاه «الأحكام العرفيّة» في (طهران)، اشتدّ قمع «التظاهرات»، فقد قتلت وجرحت «قوات الحكومة العسكرية» الآلاف من المتظاهرين المدنيين الأبرياء. كانت هذه «المذبحة» في نهاية القسوة والشدة حتى أخذت تتناقل أخبارها وسائل الإعلام العالمية والمحلية. أخيراً، ونتيجة لضغط «الرأي العام» واعتراضات العلماء والشعب، داخل البلاد وخارجها، اضطرَّ «نظام الشاه» إلى إطلاق سراح (الخميني) بعد عشرة أشهر، تقريباً، من المحاصرة والاعتقال.

واصل (الخميني) جهاده عبر خطاباته الفاضحة للنظام، وبياناته المحفّزة وعي الشّعب.

في هذه الأثناء، جاءت مصادقة الحكومة على «لائحة الحصانة القضائية» [التي تنص على منح المستشارين العسكريين والسياسيين الأميركيين، الموجودين في (إيران) الحصانة القضائية]، لتثير غضب (الخمينيّ) وسخطه منتقداً «لائحة الحصانة القضائية»، وحاملاً بشدّة على «الرئيس الأميركي» وقتئذ.

عندها رأى «نظام الشاه» أنّ الحل الأمثل يكمن في نفي (الخمينيّ) خارج (إيران).

اعتقل (الخمينيّ)، من جديد، في ٣ تشرين الثّاني- نوفمبر من عام (١٩٦٤م)، واقتيد مباشرة إلى مطار «مهر آباد» في (طهران)، ليُقتاد، منفيّاً، إلى (أنقرة) في (تركيّا)، ثمّ إلى مدينة (بورساي) التّركيّة، ليمنع من ممارسة أيّ نشاط اجتماعيّ أو سياسيّ.

استغرقت إقامة (الخمينيّ) في (تركيا) أحد عشر شهراً. وفي أثناء هذه الفترة عمل نظام الشاه بقسوة لم يسبق لها مثيل على تصفية بقايا المقاومة في إيران.

مثّلت الإقامة الجبرية في (تركيا) فرصة اغتنمها (الخمينيّ) في تدوين كتابه المهمّ «تحرير الوسيلة»، الذي يمثّل «الرّسالة العمليّة والتّنفيذيّة» للأحكام المتعلقة بـ «الجهاد» و«الدفاع» و«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» و«المسائل المعاصرة».

في يوم (٥) تشرين الأوّل- أكتوبر عام (١٩٦٥م) نُقل (الخمينيّ) برفقة ابنه الأكبر (مصطفى)، إلى منفاه الثاني في (العراق)، ليُقيم في مدينة (النجف الأشرف).

في العراق كان (الخمينيّ) يقوم بتدريس (الفقه) ويعرض للأُسس النظرية لمبدأ «الحكومة الإسلامية»، التي حملت عنوان «ولاية الفقيه»؛ كما كان يتابع الأحداث السياسية التي تشهدها (إيران) والعالم الإسلامي، وكان حريصاً على إيجاد «قنوات الاتصال» مع الثوريين في إيران، ومع أسر شهداء انتفاضة الخامس من حزيران، والسجناء السياسيين بشتّى السبل.

وفّر له وجوده في العراق الفرصة لأن يكون على اتصال مباشر بالطلبة المسلمين الموجودين خارج البلاد، بنحو أفضل من السابق. وكان لذلك دور كبير في نشر أفكاره وأهداف النهضة على «المستوى العالمي الإسلاميّ».

بذل (الخمينيّ) جهوداً كبيرة في الدفاع عن نهضة «المسلمين الفلسطينيين» ودول «خط المواجهة» من خلال اللقاءات المتعددة التي كان يجريها مع «زعماء الفصائل الفلسطينية»، وقيامه بإرسال المبعوثين إلى (لبنان)، وإصدار فتواه التاريخية المهمّة التي عدَّ فيها تقديم «الدعم العسكري والاقتصادي» لثورة الشعب الفلسطيني والبلدان التي تتعرّض للاعتداءات الصهيونية، واجباً شرعياً. وكان ذلك من جملة النشاطات التي تصدر لأول مرة من أحد مراجع الشيعة الكبار.

استشهد ابنه البكر (مصطفى) في (٢٣) تشرين الأوّل - أكتوبر عام (١٩٧٧م)؛ فمثّلت «مراسم العزاء» فيه نقطة انطلاق انعطافيّة في انتفاضات «الحوزات العلميّة»؛ وقد وصف (الخمينيّ) استشهاد ولده بأنّه من «الألطاف الإلهيّة الخفيّة»!

نشر «نظام الشاه» مقالاً في إحدى الصحف اليومية الرسمية للبلاد، يسيء إلى (الخميني). أثار «المقال» استنكاراً واسعاً بين صفوف أبناء الشعب، وقاد إلى اندلاع انتفاضة (١٩) كانون الثاني - يناير من عام (١٩٧٨م) في مدينة (قُم)، التي قُتل فيها العديد من طلبة العلوم الدينية.

ومرّة أخرى، تندلع الثورة من مدينة (قُم) لتعمّ مختلف أنحاء البلاد.

كانت نداءات (الخميني) المتتالية وأشرطة التسجيل المتضمّنة خطاباته التّحريضيّة على «الثورة»، تسجَّل وتوزّع على مساحة واسعة من (إيران) من أنصار الإمام وأتباعه.

عجز «الشاه»، رغم لجوئه إلى ارتكاب المجازر الجماعية، عن إخماد شرارة الثورة التي اندلعت، فأعلن «الأحكام العرفية» في إحدى عشرة مدينة إيرانيّة، واستبدل «رئيس الوزراء» ومسؤولي «المناصب العليا» في «البلاد».

وفي اللقاء الذي جمع وزيري خارجية (إيران) و(العراق) في نيويورك، قرّر الطرفان إخراج (الخميني) من العراق.

في (٢٤) أيلول سبتمبر عام (١٩٧٨م) أبلغ «العراقيّون»، (الخمينيّ) أن مواصلة إقامته في (العراق) منوطة بإيقاف نشاطاته السياسية والتخلّي عنها. ولكن (الخمينيّ) أصرّ على مواصلة «نضاله»؛ وقرّر تحت الضّغط أن يسافر إلى (الكويت)؛ ولكنّ «الحكومة الكويتية»، وبطلب من نظام «الشاه»، رفضت دخوله أراضيها. عندها قرّر (الخمينيّ) الهجرة إلى باريس.

وصل (الخمينيّ) إلى (باريس) في (٦) تشرين الأوّل- أكتوبر عام (١٩٧٨م). في غضون ذلك، قام «مبعوث قصر الإليزيه» بإبلاغه «طلب الرئيس الفرنسي (جيسكار ديستان)»، ضرورة تجنُّبه أي نوع من «النشاط السياسي»، فكان ردّه حازماً إذ صرّح بأنّ هذا النوع من المضايقات يتعارض مع ادعاءات الفرنسيين «الديمقراطية»، وأنّه لن يتخلّى عن أهدافه حتى ولو اضطرَّه ذلك إلى التنقّل من مطار إلى آخر ومن بلد إلى آخر.

في (فرنسا) تعرّف «العالم» على فكر (الخمينيّ)، من خلال اللقاءات الصّحفيّة التي أجراها معه مختلف مندوبي وسائل الإعلام العالميّة، في محلّ إقامته، بينما كان «الشعب الإيراني» يصعّد من حدّة تظاهراته، تحت إرشادات «الإمام».

نتيجة لاتساع رقعة الاضطرابات شلّت حركة المراكز و«المؤسسات الحكومية». ولم تجدِ نفعاً كلُّ «محاولات الشاه» في تغيير «رئاسة الوزراء» وإعلان «أسفه» عن «أعماله السابقة»! كما لم يُجدِ قيام «الشّاه» بإطلاق سراح السجناء السّياسيين في الحيلولة دون تنامي أحداثها.

في هذه الأثناء، أعلن (الخمينيّ) «قائد الثورة الإسلامية» للشعب عن تشكيل «مجلس قيادة الثورة» وتعيين أعضائه. وقرّر «الشاه» بدوره الخروج من البلاد في السّادس عشر من الشّهر الأوّل، كانون الثّاني - يناير من عام (١٩٧٩م)، بذريعة المرض و«الحاجة إلى العلاج والراحة»!

عاد (الخمينيّ) قائداً للثّورة الإسلاميّة في (إيران)، في (شباط- فبراير من عام (١٩٧٩م)، بعد خمسة عشر عاماً من «النّفي»؛ وسقط «نظام الشّاه»، وانتصرت «الثّورة الإسلاميّة الإيرانيّة».

رحل (الخمينيّ) عن هذا العالم في الثّالث من حزيران- يونيو من العام (١٩٨٩م)، عن عمر شارف على «التّسعين»: ٨٧ عاماً..

يعدُّ (الخمينيّ) أحد أكثر الزعماء السياسيين نشاطاً في العالم. وهو «فيلسوفٌ لاهوتيّ» و«مرجع دينيّ» إسلامي شيعيٌّ و«رجل سياسة» من الطّراز الحازم، إضافة إلى أنّه «قائد ثورة».

قاومت (إيران)، في عهد (الخمينيّ)، وبعده، الكثير من الضّغوطات الرّجعيّة العربيّة، والابتزاز الإمبريالي، والعقوبات الاقتصاديّة الشّائنة بحقّ الشّعب الإيرانيّ والدّولة الإسلاميّة في إيران. وكان من أبرز ما عاصره (الخمينيّ) حال حياته بعد «الثورة»، تلك الحرب الظّالمة التي شنّها (صدّام

حسين) [١٩٨٠ – ١٩٨٨م]، مدعوماً ومموّلاً من «أنظمـة الـنّفط» الرّجعيّـة في «السّعوديّة» و«الخليج»؛ ضدّ (إيران). وكان الانتصار للثّورة الإيرانيّة مـضاعفاً حين استطاعت (إيران) منع (عراق صـدّام حـسين) وداعميـه الـرّجعيينْ مـن «الأعراب»، من تحقيق أهداف تلك «الحرب» التي استهدفت «الثورة» الإيرانيّة و«الشّعب» الإيرانيّ. لقد كان من أهمّ أسباب شـنّ «العـدوان العراقـيّ» عـلى (إيران)، أنّ (إيران– الثورة) جاهرت بمواقفها السّياسيّة العادلـة إزاء الحقـوق العربيّة– الإسلاميّة المغتصبة، وأوّلها انتصارها لقضيّة (فلسطين).

اتّخذت (سورية – حافظ الأسد) موقفاً صريحاً وواضحاً، بدعم «الثـورة الإيرانيّة» في يومها الأوّل، متحمّلـة كـلّ مخلّفـات ضـيق الأفـق «القومـويّ- الأعرابيّ» الذي عادى «الثّورة الإسلاميّة» في (إيران) منذ يومها الأوّل، أيـضاً، مع استقطابٍ عدائيّ واستعدائيّ ضدّ موقف (سورية) مع (إيران)..

وكان موقف (سورية) نتيجة بسيطة وطبيعيّة.. لحكمةٍ وشـدّة مـضاءِ الفكر السّياسيّ عند القائد الخالد (حافظ الأسَد) على امتداد عصره السّياسيّ الزّاخـر بالمبدئيّـة النّـضاليّة والحكمـة الـسّياسيّة الفريـدة. واليـوم يُعـبّر «التّحالف» السّوريّ – الإيرانيّ في مواجهة هذه الحرب العالميّة الظّالمـة عـلى الشّعب السّوريّ والدّولة السّوريّة، كنتيجة مباشرة للموقف العربيّ السّوريّ المؤيّد للثورة في (إيران)؛ يُعبّر عن مدى صوابيّة النّظرة «الأسديّة» التّاريخيّـة في الاستراتيجيّات المحلّيّة والإقليميّة، التي توّجت جميـع تـاريخ عـصره في الفكر النّضاليّ السّياسيّ القوميّ العربيّ.

نيلسونْ مانديلّا

-١١-

نيلسونْ مانديلّا

ولد نيلسون روليهلاهلا (مانديلا) في (١٨) تموز- يوليو من عام (١٩١٨م)، في قرية (مفيتزو- Mvezo)، في مقاطعة (أوماتاتا- (Umtatu، في إقليم (ترانسكاي) في (جنوب أفريقيا)، في قبيلة (الهوسا- (Xhosa للعائلة المالكة) تهمبو-(Thembu).

اسمه (روليهلاهلا)، ويعني «نازع الأغصان من الشجر» أو بالعامية «المشاكس». وفي السنوات اللاحقة أصبح يعرف باسم عشيرته، (ماديبا) أحد أجداده من جهة والده (نغوبنغوكا)الذي كان ملكاً على شعب (تيمبو) في أراضي (ترانسكاي) بمقاطعة (كيب الشرقية) الحديثة في جنوب أفريقيا. وهذا «الملك»، كان له ابن اسمه (مانديلّا) هو جد (نيلسون) ومصدر لقبه.

كان والداه أميين؛ ولكن والدته التي اعتنقت المسيحية أرسلته إلى المدرسة «الميثودية» (الطّرائقيّة) المحلية الواقعة إلى جانب «القصر» (قصر مملكة القبيلة)، حيث تلقّى «دروسه الابتدائية» في مدرسة داخلية منذ عام (١٩٣٠م).

كــان (مانــديلّا) أوّل مــن تلقّــى «التّعلــيمَ» في عائلتــه. وأمّــا اسم (نيلسون)، فقد خلعه عليه «معلّمه» الذي كـان يجـد صـعوبة في لفـظ اسمه (روليهلالا)!

توفي والد (نيلسون مانـديلا) وهـو لا يـزال في التاسـعة مـن عمـره، بمرض من أمراض الرّئة؛ وقد ورث عنه (مانديلّا)، لاحقـاً، هـذا المـرض، إضافةً إلى ما ورثه عنه من «التّمرّد بفخر» و«شعور عنيد بالعدالة»، كما قـال (مانديلّا)، نفسه، فيما بعد.

درس اللغة الإنكليزية و«التـاريخ» و«الجغرافيـا» وهـو بعمـر سـبعة أعوام. ومنـذ أن أخذتـه أمّـه إلى «المكـان العظـيم–«Great Place [قـصر في (مكيكزوبي)] ليكون تحت رعاية «الـوصي« عـلى عـرش (تيمبـو)، الـزعيم (يونجينتابا دالينديبو) ؛لم يرَ أمّه مرة أخرى، لسنوات طويلة.

في سـنواته الأولى، هيمنـت عـلى حياتـه «العـادات» و«الطقـوس» و«المحرمات»؛ وكان (مانديلا) يتردد عـلى الكنيـسة كـل يـوم «أحَـد» مـع «الأوصياء»، حتى أصبحت للمسيحية مكانة خاصة في حياته؛ وكان يرعـى قطعان الماشية.

صار في عهدة عمّه حتى أكمل تعليمه «الأوّلي»، وبـدأ إعـداده لتـولي المنصب ملكاً على شعب «القبيلة» [التّيمبو]، محلّ والده.

أحــب التــاريخ الأفريقــي، مــن خــلال اسـتماعه إلى حكايــات الزوار المسنين إلى «القصر»، وتـأثر بالخطـاب المعـادي للإمبرياليـة للـزعيم

(غويِيْه)- (Joyi). في وقتها كان المستعمرون الأوروبيّون يُعدّون محسنين وليسوا ظالمين!

في عمر (١٦) عاماً، سافر مع العديد من الأولاد الآخرين إلى (تايهالارها- (Tyhalarha للخضوع لطقوس «الخِتان»، وهو رمز لانتقالهم من الطفولة إلى الرجولة.

ورغبة منه في اكتساب المهارات اللازمة ليصبح المستشار الخاص لبيت تيمبو الملكي، بدأ مانديلا دراسته الثانوية في معهد (كلاركبري) (Clarkebury Boarding Institute) في(Engcobo)، وهي مؤسسة على النمط الغربي، وأكبر مدرسة للأفارقة السود في (تيمبولاند)؛ وشجع الاختلاط القائم بين الطلبة على قدم المساواة، (نيلسون) في تغيير طبيعته «المنغلقة»، فقد بنى «صداقة مميزة» مع فتاة لأول مرة..، وبدأ في ممارسة الرياضة وطوَّر حبّه للحدائق.

بدأ الإعداد لنيل «البكالوريوس» في جامعة (فورت هار). وهناك درس اللغة الإنكليزية و«الأنثروبولوجيا»و«السياسة» و«الإدارة المحلية» و«القانون الهولندي الروماني» في سنته الأولى، رغبة منه ليصبح مترجماً أو كاتباً في وزارة الشؤون المحلية .ولكنه فُصِلَ من «الجامعة» مع رفيقه (أوليفر تامبو)، عام (١٩٤٠م)، بتهمة الاشتراك في إضراب طلابي.

عاش (مانديلا) فترة دراسية مضطربة وتنقّل بين العديد من «الجامعات»، ثم تابع «الدراسة» بالمراسلة من مدينة

(جوهانسبورغ) [العاصمة]، والتحق بجامعة «ويتواترساند» لدراسة «الحقوق».

نشأ (مانديلا) في أجواء سياسية تُنكر الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية للأغلبية السوداء في جنوب أفريقيا، ما كان له أثر كبير في تكوين شخصيته المعارضة لنظام الحكم في جنوب أفريقيا.

في عام (١٩٤٢م) انضم إلى «المجلس الأفريقي القومي» الذي كان يدعو للدفاع عن حقوق الأغلبية السوداء في جنوب السنغال.

كانت (جنوب أفريقيا) في تلك الفترة خاضعة لحكم يقوم على «التمييز العنصري الشامل»، إذ لم يكن يحق للسود الانتخاب ولا المشاركة في الحياة السياسية أو إدارة شؤون البلاد. بل أكثر من ذلك، كان يحق لحكومة الأقلية البيضاء أن تجردهم من ممتلكاتهم أو أن تنقلهم من مقاطعة إلى أخرى، مع كل ما يعنيه ذلك لشعب (معظمه قبليّ) من انتهاك للمقدسات وحرمان من حق العيش على أرض الآباء والأجداد، وإلى جانب الأهل وأبناء النسب الواحد.

[تزوج (مانديلا) من زوجته الأولى (إيفيلين ماس) عام (١٩٤٤م)، ولكنهما انفصلا عام (١٩٥٧م) بعد أن أنجب منها ثلاثة أطفال. وفي عام (١٩٥٨م) تزوج من (ويني ماديكيزيلا) التي كان لها دورٌ نشط في «حملة طالبت» بإطلاق سراح زوجها من السجن، إلا أنهما انفصلا عام (١٩٩٢م)، ليتزوج وهو في الثمانين من العمر بأرملة رئيس (موزمبيق)، (غراسا ماشيل)].

في عام (١٩٤٧م)، انتُخب (مانديلا) لعضوية اللجنة التنفيذية لحزب المؤتمر الوطني الأفريقي في (ترانسفال) [ترانسفال (Transvaal) مقاطعة سابقة كانت تقع في شمال شرق جنوب أفريقيا] تحت قيادة «الرئيس الإقليمي» (CS Ramohanoe) ؛ وعندما عمل (Ramohanoe) ضد رغبات «اللجنة التنفيذية» لـ (ترانسفال) وتعاون مع «الهنود» و«الشيوعيين»، كان (مانديلا) أحد الذين دفعوه إلى «الاستقالة القسرية».

في عام (١٩٤٨م) انتصر «الحزب القومي» في الانتخابات العامة، وهو حزبٌ يهيمن عليه البيض في جنوب أفريقيا، ويعتمد خططاً وسياسات عنصرية، منها سياسات «الفصل العنصري»، وإدخال تشريعات عنصرية في مؤسسات الدولة.

بسبب تخصيص الكثير من وقته للسياسة، فشل (مانديلا) في سنته النهائية في (يتواترسراند) ثلاث مرات في دراسته الحقوق، وحُرم في نهاية المطاف من نيل «الشهادة» في كانون الأوّل- ديسمبر عام (١٩٤٩م).

في عام (١٩٥٠م)، انتخب (مانديلا) رئيساً لـ «حزب المؤتمر الوطنيّ الأفريقيّ» (ANCYL)، وفي المؤتمر الوطني للحزب في كانون الأوّل- ديسمبر عام (١٩٥١م)؛ واصل التذرّع ضد «الجبهة المتحدة ضد العنصرية»، فقد خسر الانتخابات .

بعد ذلك، غيّر نظرته بأكملها، وأقرّ بنهج الجبهة؛ متأثراً بأصدقائه مثل (موزس كوتان) (Moses Kotane)، وبدعم «الاتحاد السوفييتي» لحروب

التحرير الوطنية؛ وبهذا يكون (مانديلا) قد تجاوز «نظرته السّيئة» للشيوعية أيضاً.

صار متأثراً بأفكار (كارل ماركس) و(فريدريك أنجلز) و(لينين) و(ستالين) و(ماو تسي تونغ)، كما آمن بـ «المادية الجدلية» [وهي إحدى مكوّنات نظريّة «الشّيوعيّة»..].

في نيسان- أبريل من عام (١٩٥٢م)، بدأ (مانديلا) العمل في مكتب (HM Basner) للمحاماة؛ وكان لزيادة التزامه بالعمل والنّضال أن قلَّ الوقت الذي يقضيه مع أسرته.

وفي العام نفسه (١٩٥٢م)، بدأ «حزب المؤتمر الوطني الأفريقي» استعداداً للانضمام إلى حملة تحدٍّ لنظام الفصل العنصري مع المجموعات «الهندية» و«الشيوعية»، وتأسس «مجلس التطوع الوطني» لتجنيد المتطوعين. اتخذ قرار بمقاومة «لا عنفية» (سلميّة) نتيجة تأثّر بحركة (المهاتما غاندي)، ما عدَّه البعض خياراً أخلاقياً، في حين عدّه (مانديلا) واقعية. وفي «رالي (ديربان)» في (٢٢) حزيران- يونيو من العام نفسه، ألقى (مانديلا) خطاباً أمام حشد من (١٠) آلاف شخص، شكَّل انطلاقة لحملة الاحتجاجات، فألقي عليه القبض بسببها واعتقل لفترة وجيزة في «سجن ساحة مارشال».

وبتزايد الاحتجاجات، نما عدد المنتسبين إلى حزب المؤتمر الوطني الأفريقي من (٢٠٠٠٠) عضو إلى (١٠٠٠٠٠)؛ وردّت «الحكومة» على

الاحتجاجات بالاعتقالات الجماعية، وإصدار «قانون السلامة» العامة في (١٩٥٣م)، للتمكّن من تطبيق «الأحكام العرفية».

وفي أيّار- مايو من عام (١٩٥٣م)، حظرت السلطات على رئيس (ANU) (حزب المؤتمر) في (ترانسفال) (ماركس) (J. B. Marks) الظهور العلني ؛ فلما أحسّ بعدم قدرته على الحفاظ على موقفه، أوصى بمانديلا خليفة له. وانتخب (مانديلا) رئيساً إقليمياً في تشرين الأوّل- أكتوبر.

في (٣٠) تموز- يوليو (١٩٥٢م)، كان أن اعتقل (مانديلا) تحت عنوان «قانون قمع الشيوعية»، مع (٢١) من رفاقه، ومن بينهم (موروكا) و(سيسولو) و(دادو)، في (جوهانسبرغ) . حكم عليهم بتهمة «الشيوعية التنظيميّة» بعقوبة الأشغال الشاقة لتسعة أشهر« ما جعل رئاسته لـ (ANU) في (ترانسفال) غير عملية.

تلاشت حملة الاحتجاجات في أيلول- سبتمبر عام (١٩٥٣م)؛ وقرأ أندرو كونين خطاباً لمانديلا بعنوان «لا طريق سهل إلى الحرية»، في تجمع للمؤتمر الوطني الأفريقي بـ(ترانسفال)، واقتبس العنوان من «زعيم الاستقلال الهندي» (جواهر لال نهرو)، الذي أثر في فكر (مانديلا). وقاد الخطاب إلى خطّة طوارئ في حال حظر المؤتمر الوطني الأفريقي. تضمّنتْ «خطة (مانديلا)» هذه تقسيم «المنظمة» إلى «خلايا» بقيادة أكثر مركزية.

في العام (١٩٥٣م) [مع أنّه لم يكنْ قد حصل على شهادته في «القانون»..!] حصل (مانديلا) على عمله محامياً في شركة

(Terblanche and Briggish)، قبل أن ينتقل إلى (هلمان وميشال) ذات النهج الليبرالي، كما اجتاز الامتحانات المؤهلة ليصبح «مدعياً عاماً».

في شهر آب- أغسطس من عام (١٩٥٣م)، افتتح (مانديلا) و(أوليفر تامبو) [رفيقه وصديقه القديم] شركتهما الخاصة للمحاماة «مانديلا وتامبو»؛ ونشطت في وسط مدينة (جوهانسبرغ). كانت الشركة الوحيدة في مجال القانون التي يديرها الأفارقة في البلاد، واشتهرت بين «السود» المظلومين، وغالباً ما تعاملت مع قضايا «وحشية الشرطة».

لم تعجب هذه الشركة السلطات، واضطرت «الشركة» إلى الانتقال لمكان بعيد بموجب قانون مناطق المجموعات ؛ ونتيجة لذلك انخفض عدد المتعاملين معها.

ابتداءً من هذه الفترة وصل (مانديلا) إلى تصور حول «حزب المؤتمر الوطني الأفريقي» يقضي بأنه «لا بديل عن مقاومة مسلحة وعنيفة»، بعد أن شارك في الاحتجاج الفاشل لمنع هدم ضاحية السود في (صوفياتاون جوهانسبرغ).

في شباط - فبراير من العام (١٩٥٥م) أشار على (سيسولو) بطلب الأسلحة من «جمهورية الصين الشعبية»، ولكن «الحكومة الصينية» اعتقدت أن «الحركة» غير مستعدة لخوض حرب عصابات ضد نظام الفصل العنصري.

في (٥) كانون الأول- ديسمبر عام (١٩٥٦م)، اعتقل (مانديلا) إلى جانب معظم «المجلس التنفيذي» لحزب المؤتمر الوطني الأفريقي بتهمة

«الخيانة العظمى» للدولة. واحتجز في سجن (جوهانسبرغ) وسط احتجاجات واسعة،

بدأت المحاكمة بالخيانة رسمياً في (بريتوريا) في آب - أغسطس عام (١٩٥٨م). وفي تشرين الأوّل- أكتوبر، سحبت «النيابة» لائحة الاتهام، لتقدمها بصيغة «معدلة» في تشرين الثّاني- نوفمبر، متهمة «جميع» قادة حزب المؤتمر الوطني الأفريقي بالخيانة العظمى بحجة دعوتهم لثورة عنيفة. وأطلق سراح «الموقوفين» بعد إنهاء العمل بقانون الطّوارئ.

في تلك الفترة أصبح (مانديلا) قائداً لحملات المعارضة والمقاومة. كان في البداية يدعو للمقاومة غير المسلحة ضد سياسات التمييز العنصري. لكن بعد إطلاق النار على متظاهرين عُزّل في عام (١٩٦٠م)، وإقرار قوانين تحظر الجماعات المضادة للعنصرية، قرر (مانديلا) وزعماء «المجلس الأفريقي القومي» فتح باب «المقاومة المسلحة».

ترسّخت قناعات (مانديلّا) بأنّ على «حزب المؤتمر» تشكيل جماعة مسلحة للتحكم في توجيه «بعض هذا العنف»، مقنِعاً بذلك كلاً من «زعيم حزب المؤتمر الوطني الأفريقي» (ألبرت وثولي) الذي كان أخلاقياً معارضاً للعنف، ومجموعات من الحلفاء الناشطين.

كانت قناعات (مانديلّا) مستوحاة من حركة (٢٦) تموز-يوليو التي قادها (فيدل كاسترو)، وأشعلت «الثورة الكوبية».

في عام (١٩٦١م) شارك مانديلا في تأسيس «أومكونتووي سيزوي» («رمح الأمة») مع (سيسولو) و«الشيوعي» (جو سلوفو)، وأصبح (مانديلا) رئيساً لجماعة مسلحة؛ وكان قد قرأ (ماو تسي تونغ) و(تشي غيفارا) حول «حرب العصابات». رسمياً، كانت المجموعة منفصلة عن حزب المؤتمر الوطني الأفريقي، لكنها أصبحت في السنوات اللاحقة جناحه العسكري.

اعتمدت هيكلية المنظمة («رمح الأمّة») على «الخلايا»، وتأييد «العنف المسلّح» لممارسة أقصى قدر من الضغط على الحكومة.

في (٥) آب- أغسطس عام (١٩٦٢م)، اعتقلت الشرطة (مانديلا)، وسجن في «سجن مارشال سكوار» بـ(جوهانسبرغ)، ثمّ نقل إلى (بريتوريا)؛ وفي زنزانته بدأ في دراسة بالمراسلات التحضير لـ «ليسانس الحقوق» (بكالوريوس في القانون) من جامعة (لندن).

في جلسة الاستماع في (١٥) تشرين الأوّل- أكتوبر رفض (مانديلّا) استدعاء الشّهود، فتحوّلت مرافعته إلى «خطاب سياسيّ». عدَّت المحكمة (مانديلا) مذنباً، وحكمت عليه بالسجن لخمس سنوات.

في (١١) تموز- يوليو عام (١٩٦٣م) داهمت «الشرطة» مزرعة (يليسليف) واعتقلت من وجدتهم هناك، واكتشفت أوراقاً توثق أنشطة «رمح الأمّة»، التي ورد فيها اسم (مانديلا).

بدأت بعدها «محاكمة ريفونيا» في «المحكمة العليا» في (بريتوريا) في ٩ تشرين الأوّل- أكتوبر، واتّهم (مانديلا) ورفاقه بأربع تهم بالتخريب

والتآمر للإطاحة بالحكومة باستعمال العنف. وطالب كبير ممثّلي الادّعاء بإنزال «عقوبة الإعدام» بالمتّهمين.

اعترف (مانديلا) و«المتهمون الآخرون» بتهمة التخريب، ولكنهم نفوا أي موافقة على إشعال حرب عصابات ضد الحكومة. واستخدموا المحاكمة لتسليط الضوء على قضيتهم السياسية، في إحدى خطب (مانديلا) المستوحاة من خطاب (كاسترو) («التاريخ سيغفر لي») التي تناقلتها على نطاق واسع «التقارير الصحافية» على الرغم من الرقابة الرسمية.

استرعت «المحاكمة« الاهتمام الدولي، مع دعوات دولية لإطلاق سراح المتهمين صدرت من مؤسسات مثل «الأمم المتحدة» و«مجلس السلم العالمي». صوتت جامعة اتحاد لندن على (مانديلا) «رئيساً» لها، ونظمت وقفات احتجاجية ليلية أمام كاتدرائية سانت بول في (لندن). ومع ذلك، تجاهلت حكومة جنوب أفريقيا جميع طلبات الرأفة، ورأت أن المتهمين هم محرضون شيوعون عنيفون.

في (١٢) حزيران- يونيو عام (١٩٦٤م) عدَّ القاضي (دي ويت) كلاً من (مانديلا) واثنين من «المتهمين»، «مذنبين»، في «التّهم» الأربع، وحكم عليهم بالسجن مدى الحياة بدلاً من الإعدام.

نقل (مانديلا) وزملاؤه «المتهمون» من (بريتوريا) إلى سجن في جزيرة (روبن آيلاند)، حيث بقوا هناك لمدة ١٨ سنة.

في الليل، كان يتابع التّحضير لشهادة «ليسانس الحقوق». منعت عنه الصحف، وكان أن حُبِسَ «انفرادياً» في عدة مناسبات لحيازته قصاصات أخبار مهربة. بعد تصنيفه سجيناً بأدنى درجة مراقبة (الدرجة D)، سمح له بزيارة واحدة ورسالة واحدة كل ستة أشهر، في ظل رقابة صارمة على كل بريده. رغم «مسيحيّته» وحضوره «قدّاس الأحد»، درس (مانديلّا)، في سجنه، «الإسلام»!

بحلول عام (١٩٧٥م)، أصبح (مانديلا) ضمن «الفئة (A)» من السجناء، فسمح له بعدد أكبر من الزيارات والرسائل، وتراسل مع نشطاء مناهضين للفصل العنصري مثل (مانغوسوتوبوثيليزي) و(ديزموند توتو)، وفي العام نفسه، بدأ كتابة «سيرته الذاتية»، والتي كانت تُهرّب إلى (لندن)، من دون نشرها؛ واكتشفت سلطات السجن عدة صفحات، فأوقفت «امتيازاته الدراسية» لمدة «أربع سنوات»، ما دفعه إلى تكريس وقت فراغه في زراعة الحدائق وقراءة ما يصل إليه، حتى استأنف دراسته للحقوق في عام (١٩٨٠م).

في نيسان- أبريل عام (١٩٨٢م)، نُقل (مانديلا) إلى سجن بولسمور (Pollsmoor) في (توكاي، كيب تاون) مع كبار قادة «حزب المؤتمر الوطني الأفريقي».

تصاعدت أعمال العنف في أنحاء البلاد، وازدادت المخاوف من «حرب أهلية». وتحت ضغط من «اللوبي الدولي»، توقفت البنوك متعددة الجنسيات عن الاستثمار في جنوب أفريقيا، ما أدى إلى ركود اقتصادي.

طالب العديد من البنوك، كما طلبت (تاتشر) من (بوتا) [بيتر بوتا (الملقّب بـ «التّمساح الكبير»، رئيس جنوب أفريقيا من عام (١٩٧٨م) إلى عام (١٩٨٩م)]، بإطلاق سراح (مانديلا) - المشهور عالمياً - لنزع فتيل الوضع المتفجر.

رغم وصفه لـ (مانديلا) بأنه ماركسيّ متشدّد وخطر، إلّا أن (بوتا) عرض عليه في شباط- فبراير عام (١٩٨٥م) الإفراج من السجن بشرط «التخلي عن العنف كسلاح سياسي دون قيد». رفض (مانديلا) «العرض»، وأصدر بياناً عبر ابنته (زندزي) افتتحه بقوله:

«ما هذه الحرية المعروضة عليّ، في حين أن «منظمة الشعب» [ANC] لا تزال محظورة؟ فقط الأحرار يمكنهم التفاوض. وليس سوى الرجال الأحرار. لا يمكن للسجين أن يُبرم العقود»!

عادت الحركة المناهضة للفصل العنصري إلى المقاومة والكفاح، واستعمل «الجيش» والفرق «شبه العسكرية اليمينية» لمحاربة المقاومة، وموَّلت الحكومة سرّاً «حركة الزّولوانكاثا» (القومية) لمهاجمة أعضاء «حزب المؤتمر الوطني الأفريقي»، لتزيد وتيرة العنف.

تعافى (مانديلّا) من مرض «السّلّ» الذي أصيب به جراء الشروط الصحية المتدهورة لزنزانته. وفي كانون الأوّل- ديسمبر عام (١٩٨٨م)، نقل (مانديلّا) إلى «سجن فيكتور فيرستر» بالقرب من (بارل). هناك، وجد راحة نسبية في منزل الحراس مع طباخ شخصي، واستغلّ الوقت للتحضير لشهادة «ليسانس الحقوق»، وقد بلغ السّبعين من العمر..!!؟

وهنا سُمح للكثيرين بزيارته، فأجرى (مانديلا) من خلالها اتصالات سرية مع زعيم حزب المؤتمر الوطني الأفريقي المنفيّ (أوليفر تامبو) [رفيقه وصديق عمره!].

في خطوة مفاجئة، دعا (بوتا)، (مانديلّا) إلى «جلسة شاي»، في تموز- يوليو عام (١٩٨٩م)، وعدَّ (مانديلا) هذه «الدّعوة» مناسبة رائعة.

بعد (ستة) أسابيع انتقلت «رئاسة الدولة» من (بوتا) إلى (دي كليرك)، واعتقد الرئيس الجديد أن نظام الفصل العنصري غير قابل للاستمرار، فأطلق سراح جميع سجناء «حزب المؤتمر الوطني الأفريقي»، دون قيد أو شرط، باستثناء (مانديلا)!

بعد «سقوط جدار برلين» في تشرين الثاني- نوفمبر عام (١٩٨٩م) قرّر (دي كليرك)، بعد اجتماع مع أعضاء «مكتبه الخاصّ»، الإفراج عن (مانديلّا)؛ وفي (١١) شباط- فبراير من العام (١٩٩٠م) أطلقت حرّية (نيلسون مانديلّا)، دون قيد أو شرط، بعد أن قضى أكثر من (٢٧) عاماً في السجن.

باشر (مانديلّا) من جديد نضالاته وتحرّكاته السّياسيّة، وفي العام (١٩٩٣م) منح جائزة (نوبل) للسّلام.

في (٢٧) نيسان- أبريل أجريت انتخابات عامّة، في (جنوب أفريقيا)، وفاز «حزب المؤتمر الوطنيّ الأفريقيّ» بالانتخابات.

في (١٠) أيّار- مايو من العام (١٩٩٤م)، نُصِّب (نيلسون مانديلّا)، رئيساً في (بريتوريا)، عن عمر ناهز الـ (٧٦)عاماً.

عام (١٩٩٧م)، تنازل (مانديلّا) عن زعامته لحزبه (حزب المؤتمر الوطنيّ الأفريقيّ)، وكان ذلك بمنزلة تنازل عن رئاسة البلاد.

في عام (١٩٩٨م)، احتفل (مانديلّا) بعيد ميلاده الـ (٨٠)، وفي الوقت نفسه أقام حفلاً لزواجه الثّالث..، واعتزل الحياة السيّاسيّة، بعد خطاب وداعه الذي ألقاه في (٢٩) آذار- مارس عام (١٩٩٩م)، وعاش ما تبقّى له من عمر، حياةً عائليّة هادئة.

غادر (مانديلّا) الدّنيا في (٥) كانون الأوّل - ديسمبر، عام (٢٠١٣م)، عن عمر ناهز ال (٩٥) عاماً.

(نيلسون مانديلّا) أيقونةٌ من أيقونات النّضال السّياسيّ في القرن العشرين، قضى حياته سياسيّاً وثوريّاً ومناضلاً مناهضاً للتمييز العنصريّ، ونظام «الفصل العنصريّ»، في (جنوب أفريقيا). لاتزال، وستبقى عزيمته النّضاليّة مثالاً خالداً للبطولة والوقوف في وجه الظّلم العالميّ، وبحثاً عن قيم التّحرّر والعدالة في العالم والتّاريخ.

ولـ (مانديلّا) أقوالٌ خالدة:

- إننا نقتل أنفسنا، عندما نضيّق خياراتنا في الحياة
- التسامح الحق، لا يستلزم نسيان الماضي بالكامل.
- العظمة في هذه الحياة، ليست في التعثّر، ولكن في القيام بعد كل مرة نتعثر فيها.
- لا يوجد شيء مثل العودة إلى المكان...الذي يبقى دون تغيير، لتجد فيه ما عدلته بنفسك.

- إنّ الانسان الحرّ كلما صعد جبلاً عظيماً وجـد وراءه جبـالاً أخـرى يصعدها.

- الحرّية لا يمكن أن تعطى على جرعات، فالمرء إما أن يكون حـراً أو لا يكون حراً.

- الجبناء يموتون مرات عديدة قبل موتهم، والشجاع لا يذوق الموت إلا مرة واحدة.

- أما جسم الإنسان فيتكيف مع أي ظروف قاسية، كما أنّ المعتقـدات الرّاسخة هي سرّ البقاء في ظروف الحرمان.

- إني أتجول بين عالمين، أحدهما ميت والآخر عاجز أن يولد.. ولـيس هناك مكان حتى الآن أريح عليه رأسي .

- إذا خرجت من السجن في نفس الظروف التي اعتقلت فيها فـإنني سأقوم بالممارسات نفسها،التي سجنت من أجلها.

هوغو تشافيز

-١٢-

هوغو تشافيز

ولد (هوغو تشافيز) في (٢٨) تموز- يوليو عام (١٩٥٤م) في أسرة «متوسطة الحال» في بيت جدته لأبيه.

متزوج وله (خمسة) أولاد. وهو الرّئيس الواحد والستّون، لـ (فنزويلّا).

انتسب (شافيز) إلى «الأكاديمية العسكرية» في (فنزويلّا) في سنّ الثّامنة عشرة، قبل أن يلتحق بجامعة (سيمون بوليفار) في (كاراكاس).

دخل (هوجو تشافيز) العسكريّ الشاب في طور التكوين، «الحركة السريّة» في نهاية سنة (١٩٧٠م)، بعد استقطابه من طرف أخيه (أدان تشافيز)، المكلف بعدها بالإصلاح الزراعي في فنزويلا، والذي كان آنذاك مناضلاً في «حزب الثورة الفنزويلية» (PRV) ..

و«حزب الثورة الفنزويلية» هذا متحدر من أصول «حرب الغِوار» [حرب «الغِوار»: هي نمط من الحرب الشّعبيّة يؤلّف «الثّوار» فيها فرقاً صغيرة نسبيّاً. ويكون نوع عملها الرّئيسيّ شنّ الغارات المتكرّرة على قوّات

العدوّ لإبادته شيئاً فشيئاً؛ وهي الشّكل الأساسيّ للحرب في المرحلة الأولى من الحرب الشّعبيّة الثّوريّة..

تسمّى أيضاً حرب العصابات؛ وحرب الأنصار تجاوزاً]، وقد ائتلف (الحزب) عام (١٩٦٢م) بجبهة «تحرير وطني» و«قوات مسلحة للتحرير الوطني» بتأثير من «اليسار الفنزويلي». عندما دَعَا «الحزب الشيوعي» مناضليه عام (١٩٦٥م) إلى وقف النضال المسلح. فيما بعد، تحولت «جبهة التحرير الوطني -حزب القوات المسلحة للتحرير الوطني» إلى «القوات المسلحة للتحرير الوطني - حزب الثورة الفنزويلية».

استأنف فيما بعد «حزب الثورة الفنزويلية» «حرب الغِوار»، ومارستْ عملاً سرياً داخل «الجيش».

تبنّى «الحزب الشيوعي الفنزويلي»، و«القوات المسلحة للتحرير الوطني»، (وفيما بعد «حزب الثورة الفنزويلية»)،تبنّوا برنامجاً سياسياً معادياً للإقطاعية وللإمبريالية، بمنظور متعدّد المستويات. وقد منح هذا البرنامج البرجوازية الوطنية مكانتها في «مشروع النظام الثوري».

بنى (تشافيز) داخل «القوات المسلحة» ما سيغدو لاحقاً «الحركة البوليفارية الثورية»، التي ستصبح أداة «الانتفاضة المدنية – العسكرية» ليوم ٤ شباط - فبراير (١٩٩٢م)، هذه الانتفاضة، المعروفة أكثر كـ«انقلاب».

[قام تشافيز بمحاولة انقلاب في (٤) شباط- فبراير عام (١٩٩٢م)، ضد الرئيس الفنزويلي (كارلوس أندريس بيريز)، فنجح أولاً في السيطرة على جميع البلاد، عدا العاصمة (كراكاس)؛ ففشل الانقلاب، واعتقل (شافيز) وأدخل السجن]..

كان الانقلاب رداً من «الحركة البوليفارية» الثورية على قمع «عصيان ٢٧ شباط - فبراير (١٩٨٩م)» الشعبي (كاراكازو)، الذي كان حركة عفوية للجماهير المهمّشة في (فنزويلا) ضد جملة إجراءات «نيوليبرالية» وضعها (كارلوس أندريس بيريز). يومها أسقطت قوات الأمن (٣٠٠٠) قتيل على أرصفة الشّوارع.

عندما صار (تشافيز) «قائد كتيبة المظليين» في الجيش الفنزويلي، كان على خلافٍ تامٍ مع الحكومة الفنزويلية برئاسة «كارلوس أندريس بيريز» ذات التوجهات الليبرالية الحديثة. كانت أوضاع الفقراء مدار اهتمامه اليوميّ. .

حارب لتحويل بلاده إلى بلدٍ ينعم بالرخاء، لاسيّما أنّ (فنزويلّا) من أغنى الدول النفطية في العالم، إذْ يُقدّر دخل الدّولة من «النّفط« بـ (٨٥٠) مليون دولار في الشّهر..

في الرابع من شباط - فبراير (١٩٩٢م)، وقف «الضابط الفنزويلي الأسمر» المقدّم (هوغو تشافيز) أمام عدسات الكاميرات ليعلن فشل الانقلاب الذي قاده؛ ويدعو مؤيديه لإلقاء السلاح حقناً للدماء.

لم يكن خطابه «استسلاماً»، بل خطاب تحدّ، أكّد فيه أن التحرك مستمرّ من أجل إسقاط الطغمة اليمينية الحاكمة، ماجعل «السلطات الفنزويلية»، آنذاك، تندم على طلبها منه توجيه هذا النداء.

بعد سنتين تمت تنحية الرئيس (أندريه بيريز)، وتولى (رافائيل كالديرا) السلطة، فخرج (تشافيز) من السجن.

بعد الإفراج عنه عام (١٩٩٤م) أسس (تشافيز) مع بعض أصدقائه الضباط «حركة سرية» أطلقوا عليها اسم (سيمون بوليفار)، تيمناً باسم

الزعيم الأمريكي الجنوبي الذي كان من أبرز مقاومي «الاستعمار الإسباني» في (القرن التاسع عشر)؛ وقام (تشافيز) ببعث حزب سياسي «حركة الجمهورية الخامسة» والذي مثّل نسخة مدنية للحركة الثورية التي كان قد أسسها قبل سنتين من ذلك ليترشح عام (١٩٩٨م) للانتخابات الرئاسية.

حظي (تشافيز) بمساندة اليساريين والطبقات الفقيرة، وأعلن عن برنامج يركز على محاربة الفقر والفساد والرشوة، فحصل على نسبة ٥٦٪ في انتخابات كانون الأوّل- ديسمبر عام (١٩٩٨م)، وبفوز (تشافيز) في الانتخابات، أعلن عام (١٩٩٩م) عن بدء «الثورة الخامسة»، «ثورة بوليفار»، مع استلهام معظم أفكاره الإصلاحية من أفكار (بوليفار) نفسه.

وفي العام (١٩٩٩م) أصبح (تشافيز) رئيساً للبلاد في ٢ شباط – فبراير، وعرف بحكومته ذات السلطة الديمقراطية الاشتراكية، واشتهر بمناداته بتكامل أمريكا اللاتينية السياسي والاقتصادي مع معاداته للإمبريالية وانتقاده الشديد لأنصار «العولمة» من الليبراليين الحديثين، وللسياسة الخارجية لـ (الولايات المتحدة الأمريكية).

في العام (١٩٩٩م)، وبعد إجراء استفتاء، صوّت الشعب لصالحه بـ (٩٢) في المئة من الأصوات، وأُنشئ «مجلس تأسيسي» [أسس «المجلس الدستوري»، وتضمن هذا المجلس المُثقفين والفقراء]، أوكلت له مهمة كتابة دستور جديد للدّولة.

عندما تسلّم الرئاسة، قال في «قسمِهِ الرئاسي»؛ الذي خرج فيه عن البروتوكول المعتاد :

«في (فنزويلا) أكبر احتياطي للنفط في العالم؛ في (فنزويلا) خامس أكبر احتياطي للغاز في العالم؛ كل هذا و ٨٠٪ من شعبها فقراء».

«أُقسم أمام شعبي، وفوق هذا الدستور الذي يحتضر، أن (فنزويلا) ستمتلك «دستوراً جديداً مناسباً للأجيال القادمة».

أعلن (شافيز) أن «المسيح» كان أول اشتراكيّ..، وأنه سيسير على خطاه. كما أعلن عن مناهضته الصّريحة لـ «العولمة»، وضرورة وجود عدة «محاور» و«أقطاب» في العالم، في خطاب سياسي معادٍ لـ (أمريكا).

اصطدم بشكل مباشر مع «رجال الدين»، واتهمهم بتجاهل الفقراء، والوقوف إلى جانب «المعارضة»، والدفاع عن الأثرياء. كان (تشافيز) يُخاطب شعبه دائماً، من خلال برنامجه الأسبوعي على التلفزيون الرسمي بعنوان «مرحباً أيها الرئيس».

تضمن «برنامج (تشافيز) »، العديد من الإصلاحات «الدّستوريّة» المهمَّة، كان من أبرزها تغيير اسم «الدولة» (إلى «جمهوريّة فنزويلّا البوليفاريّة»)، وسنّ قانون جديد لزيادة فترة الرئاسة إلى (٦) سنوات، مع إمكان إجراء انتخابات فورية، يتم فيها الاتصال مباشرة بين الرئيس والشعب.

عندما تسلّم (تشافيز) السّلطة في (فنزويلّا)، كان ٥٠٪من المواطنين في بلاده تحت «خط الفقر»، بينما كانت هذه البلاد من أغنى «الدول النفطية» في العالم. واستطاع أن يحقق نقلة اجتماعية ضخمة من خلال التركيز على رفع المستوى الاجتماعي، ومحو الأمية كهدفٍ أساسي، والتركيز على رفع مستوى المعيشة للمواطنين من خلال «تأميم النفط» وإعادة توزيع عائداته

على المواطنين، ورفع شعار «القضاء على بيوت الصفيح»، التي كانت منتشرة في (فنزويلا) بسبب الحالة الاقتصادية المتردية؛ وتبنى مشروع إنشاء (٢٠٠) ألف مسكن اقتصادي توزع مجاناً على المحتاجين.

في سنة (٢٠٠٠م)، أعيد انتخاب (شافيز) رئيساً للجمهورية التي باتت تسمى «جمهورية فنزويلا البوليفارية»؛ غير أن تدهور أسعار النفط في (٢٠٠١م)، أدّى إلى نشوء أزمة اقتصادية كبيرة في البلاد.

أدّى اتخاذ (تشافيز) إجراءات لإيجاد حلول للأزمة الاقتصادية، والتي منها تبنّي إصلاحات زراعية وتأميم قطاع النفط، والاستحواذ على مساحات شاسعة من الأراضي الساحلية.. ؛ أدّى إلى موجة غضب عارمة في صفوف قطاع واسع من السكان.

من جانبها دعت «المعارضة» وأرباب العمل إلى شنٍّ سلسلة من الإضرابات، ما أدى إلى تعميق الأزمة التي أوصلت البلاد إثر ذلك إلى محاولة الانقلاب ضد نظام (تشافيز) في (٢٠٠٢م)؛ غير أن أنصار الرئيس أعادوه إلى الحكم في غضون ساعات معدودات.

فاز (تشافيز) بفترة رئاسية أخرى في انتخابات العام (٢٠٠٦م).

يوصفُ (تشافيز) بأنّه مزيجٌ «فنزويلي» لاذع وخطر. «ماركسيّ» أقربُ إلى (تروتسكي)، وهذا ما يجعله مغامراً نموذجيّاً ومتمرّداً عنيداً؛ اعتنق أفكار «محرر أمريكا اللاتينية» (سيمون بوليفار)..

كان يحلم ببناء «الاشتراكية الجديدة للقرن الحادي والعشرين». «مطرب هاوٍ»، و«راقص» أيضاً؛ كما أنّه مقدم برنامج تلفزيونيّ شهير هو

«مرحباً يا رئيس» على الهواء؛ وساخر وصاحب نكتة كتلك التي كان يوجّهها إلى الرّئيس الأمريكيّ (جورج دبليو بوش)!

كان بروز (تشافيز) على الساحة السياسية عام (١٩٩٢م) نتيجة الاستراتيجية «قوى اليسار» داخل «الجيش» المكونة أغلبيته من عناصر ذات أصول شعبية تتلقى قسماً من تكوينها في «الجامعات العامّة»، ما جعلها قابلة للتأثر بالفكر «الماركسي» و«التقدمي» الذي ينشره بعض «الجامعيين» و«المناضلين الثوريين».

مكّنت «ثورة (تشافيز) » الآلاف من «الفنزوليين» من الحصول على التعليم والتمتّع بالخدمات الصحية، وتأمين مصدر العيش. كما تقلصت نسبة الفقر بشكل كبير رغم تواصل ظاهرة التفاوت الطبقي وتواصل ضعف الاقتصاد الفنزويلي الذي يعتمد كلياً على النفط.

خضعتْ علاقات (تشافيز) الدّوليّة لفكرة مهيمنة واحدة وهي العداء لـ (الولايات المتحدة الأمريكية). وعُرف بعلاقته المميّزة بالرئيس الإيراني (محمود أحمدي نجاد) والزعيم الليبي السابق (معمر القذافي) والرئيس الكوبي السابق (فيديل كاسترو)، فقد كان (تشافيز) يسعى إلى تكوين ما أسماه «محور الخير» لخلق «قوة مضادة للإمبريالية الأمريكية» كما كان يقول.

كان (تشافيز) يسعى في كل قمة لـ (اتحاد دول جنوب أمريكا) إلى الدعوة إلى تحقيق اكتفاء ذاتي لهذه الدول؛ فقام بإحياء مشاريع تنموية مشتركة وصندوق مالي مشترك لتمويل المشاريع للتخلص من هيمنة «صندوق النقد الدّوليّ» و«البنك الدوليّ». كما كان يدعو إلى إنشاء عملة مشتركة لتحقيق الاستقرار المالي في «المنطقة».

كان معروفاً بعدائه لـ (الولايات المتحدة) على طول الطريق؛ وقد اتهمها بدعم محاولة انقلاب عسكري أبعده عن السلطة لمدة يومين في العام (٢٠٠٢م). وفي العام (٢٠٠٤م)، نجح في نزع فتيل الأزمة التي حاولت واشنطن تغذيتها بين (فنزويلا) و(كولومبيا) على الحدود بين البلدين.

عُرف بمعاداته الشديدة لـ (إسرائيل)؛ وكان مُقرّباً جداً من الزعماء العرب؛ وعُرف بوقوفه إلى جانب «القضية الفلسطينية» دائماً؛ فلقَّبه الكثيرون بـ «صديق العرب» أو «صديق فلسطين»، أو «(تشافيز) العربي».

حين قامت إسرائيل بالعدوان على قطاع غزة عام (٢٠٠٩م)، أعلن (تشافيز) أن (فلسطين) هي دولة مستقلة حرة، وأن «السّفير الإسرائيلي» شخصٌ غير مرغوب به على «الأراضي الفنزويلية». فأعاده إلى (إسرائيل)، وسحب «سفيره» من (تل أبيب)، وقلّص التعامل مع (إسرائيل) إلى أدنى مستوى، قال :

«ينبغي جرّ الرئيس الإسرائيلي إلى محكمة دولية ومعه الرئيس الأمريكي، لو كان لهذا العالم ضميرٌ حيّ.

« يقولون إن الرئيس الإسرائيلي شخصٌ نبيل يدافع عن شعبه؛ أيّ عالم عبثي هذا الذي نعيش فيه؟».

خلال رحلته القصيرة تلك، نجح (تشافيز) في تحويل «البلاد» إلى دولة تتمتع بقدرٍ كافٍ من الرّخاء الاجتماعيّ.

وفي الخامس من آذار- مارس من العام (٢٠١٣م)، فارق الرئيس الفنزويلي (هوغو تشافيز)، الحياة.

السّيّد حسن نصر الله

-١٣-

السّيّد حسن نصر الله

اسمه الكامل: حسن نصر الله عبد الكريم نصر الله، ولد في (٣١) آب – أغسطس عام (١٩٦٠)؛ في بلدة (البازورية) الجنوبية اللبنانيّة القريبة من مدينة (صور)؛ (١٠ كلم، شرق مدينة صور)؛ في أسرةٍ فقيرة.

و(السّيّد حسن) هو الأكبر سناً في أسرة الأهل المكوّنة من ثلاثة أشقاء وخمس شقيقات. وهو متزوج و«ربّ أسرة» منذ عام (١٩٧٨م)، وله خمسة أولاد. استشهد ابنه البِكر(هادي نصر الله) في «مواجهة عسكرية» مع «الجيش الإسرائيلي العدوّ»، في «جنوبي لبنان»، في العام (١٩٩٧م).

اضطرَّ وهو صغير، وبسبب ضيق حال الأسرة وانعدام فرص العمل في بلدته الجنوبية، التي كانت تشكو كغيرها من قرى وبلدات المنطقة الفقر والإهمال والحرمان، للنزوح مع أسرته إلى مدينة (بيروت). وهناك، أقامت الأسرة في منطقة (الكرنتينا) أحد أكثر الأحياء فقراً وحرماناً في الضاحية الشرقية لبيروت؛ وهناك تلقّى دراسته الابتدائية في

مدرسة «الكفاح» الخاصة، وتابع دراسته «المتوسطة» في مدرسة «الثانوية التربوية» في منطقة (سن الفيل)، في أطراف العاصمة اللبنانيّة (بيروت). وساعد في طفولته والده (عبد الكريم نصر الله) في بيع الخضار والفاكهة.

أبدى (السيد حسن) اختلافاً مبكّراً عن أقرانه وأترابه؛ فلم يكن يشبه أولاد الحيّ الآخرين. كان هؤلاء الصبية يلعبون «كرة القدم»، ويذهبون إلى البحر أو النهر للسباحة؛ أما هو فكان يتردد إلى «المسجد» في (سن الفيل)، (برج حمود) أو (النبعة)، لعدم وجود مسجد في (الكرنتينا).

عندما اندلعت «الحرب الأهلية» في (لبنان)، [عام (١٩٧٥م)]، رجع (حسن) مع «الأسرة» إلى بلدته (البازورية) في «الجنوب»؛ وهناك تابع دراسته «الثانوية» في مدرسة «ثانوية صور الرسمية للبنين».

في أثناء وجوده في (البازورية)، من جديد، التحق (السيد حسن نصر الله) بصفوف «حركة أمل الشيعية»، التي أسسها «الإمام (موسى الصدر)»؛ وكان خِياره يبدو غريباً، حينها، عن «التّوجهات السّياسيّة» لأبناء «البلدة»، التي كانت تأخذ الطابع «الشيوعي» أو «الماركسي»، وذلك لكثرة «الشيوعيين» الموجودين فيها إبّان ذلك الوقت؛ ثم أصبح (السّيّد) «مندوب حركة أمل» في بلدته (البازوريّة)؛ وأبدى منذ حداثته اهتماماً خاصاً بالدراسة الدينية متأثراً بثقافة الإمام (السّيد موسى الصدر).

تعرّف في أثناء فترة وجوده في «جنوب لبنان» على إمام مدينة (صور)، (السّيّد محمد الغروي)، الذي ساعده في السّفر إلى (العراق) وفي ترتيب

التحاقه بـ «الحوزة العلمية» في «النجف الأشرف»، وكان ذلك في أواخر العام (١٩٧٦م).

غادر (السيد حسن نصر الله) إلى «النجف الأشرف»، في (العراق)، ومعه «رسالة تعريف» و«توصية»، من (السيّد الغروي)، إلى «المرجع الدينيّ» «الإمام الشهيد السيد (محمد باقر الصدر)»، الذي أبدى «اهتماماً لافتاً» به، وكلّف (السّيّد عباس الموسوي) «مهمة» الإشراف على «الطالب الجديد» والعناية به على المستويين «العلمي» و«الشخصي».

ابتداءً من هذه اللحظة، نشأت صداقة، ستكون قوية ومتينة، بين الرجلين (السيد عبّاس الموسوي والسيد حسن نصر الله)، اللذين كتبا فصلاً مهماً من تاريخ لبنان الحديث، عبر إسهامهما في إنشاء وتأسيس «حزب الله اللبناني» عام (١٩٨٢م) خارجاً من «حركة أمل».

أمّنتْ هذه الأجواء لـ (السيد نصر الله) الفرصة لإنهاء «علومه الدينية» في فترة سريعة نسبياً، فقد أنهى «المرحلة الأولى» بنجاح في العام (١٩٧٨م).

في عام (١٩٧٨م)، عاد (السيد حسن نصر الله) من العراق إلى لبنان، متخفياً، متوارياً عن أنظار النظام العراقي، نظراً لحالة الجور والاضطهاد التي مورست ضد الحوزات الدينية (علماء وطلاباً).

بوصول (السيد حسن نصر الله) إلى (لبنان) التحق بـ «الحوزة الدينية» في (بعلبك)؛ وهناك تابع حياته العلمية معلماً وطالباً، إضافةً إلى ممارسته العمل السياسي والمقاوم ضمن صفوف تنظيم حركة أمل، الشيعية، التي

كانت قد بلغت أوجها في ذلك الحين. وبفضل قوة شخصيته ومتانة عقيدته وصدق التزامه وإخلاصه..، فإن ذلك الشابّ، الذي كان بالكاد قد بلغ العشرين من عمره، استطاع الوصول سنة (١٩٧٩م)، إلى منصب مندوب الحركة في (البقاع)؛ وصار مسؤولاً سياسياً في منطقة (البقاع)، وعضواً في المكتب السياسي لـ «حركة أمل».

في عام (١٩٨٢م)، انسحب (السيد حسن نصر الله) مع مجموعة كبيرة من «المسؤولين» و«الكوادر» من «حركة (أمل)»، إثر خلافات «جوهرية» مع «القيادة السياسية» لـ «الحركة» آنذاك، حول «سبل مواجهة التطورات السياسية والعسكرية» الناجمة عن «الاجتياح الإسرائيلي للبنان».

هنا، كانت البداية الأولى لظهور «حزب الله» اللبناني، إذ بدأ هؤلاء «الشبَّان» بالاتصال برفقائهم «الحركيين» في مختلف المناطق اللبنانية، بهدف تحريضهم على ترك «تيار برّي» والانضمام إلى «حزب الله» النّاشئ الجديد.

عند ولادة «حزب الله» لم يكن (السيد حسن نصر الله) عضواً في «القيادة» العليا للحزب، رغم دوره الأساسي فيه، ولم يكن حينها قد تجاوز الـ(٢٢) عاماً.. وكانت مسؤولياته الأولى تنحصر بتعبئة المقاومين، و«إنشاء الخلايا العسكرية».

واصل (السيد حسن نصر الله) نشاطه العلمي في «المدرسة الدينية» في (بعلبك) إلى جانب توليه مسؤولية «منطقة البقاع» في «حزب الله»، حتى العام (١٩٨٥م)، إذ انتقل إلى منطقة (بيروت)، وتولّى فيها مسؤوليات عديدة.

بعد فترة تسلَّم (السّيّد حسن نصر الله) منصب نائب مسؤول منطقة (بيروت)، الذي كان يشغله (إبراهيم أمين السيد)، أحد نواب حزب الله السابقين في «البرلمان اللبناني».

استمر (السيد حسن نصر الله) يصعد سلّم «المسؤولية» في «حزب الله»، فتولّى لاحقاً مسؤولية منطقة (بيروت)؛ ثم استُحدث بعد ذلك منصب «المسؤول التنفيذي العام»، المكلّف بتطبيق قرارات «مجلس الشورى»، فشغله (حسن نصر الله).

في عام (١٩٨٩م) غادر (بيروت) إلى (إيران)، وتحديداً إلى مدينة (قم)، لمتابعة «دروسه الدينية» هناك؛ ولكن «التطورات» الحاصلة على «الساحة اللبنانية»، وخصوصاً لجهة «النزاعات المسلحة» بين «حزب الله» و«حركة (أمل)»،اضطرته للعودة مجدداً إلى (لبنان)، وذلك بعد عامٍ واحدٍ فقط.

عاد (السيد حسن نصر الله) ليكمل مسؤولياته بناءً لقرار «الشورى» و«إلحاح المسؤولين» و«الكوادر الأساسيين» وتحت ضغط التطورات العملية والسياسية والجهادية، في لبنان، آنذاك.

ظلّ (السيد حسن نصر الله) بلا «مسؤوليّاتٍ محدّدة»، حتى انتخاب (عباس الموسوي) أميناً عاماً، إذ عاد إلى مسؤوليته السابقة : [«المسؤول التّنفيذيّ العام»، في «حزب الله»].

في العام (١٩٩٢م) اغتالت (إسرائيل) «أمين عام حزب الله (السيد عباس الموسوي)»، فتم الاتجاه إلى انتخاب (السيد حسن نصر الله) أميناً عاماً

للحزب، رغم سنِّه الصغيرة لتولّي هذه «المسؤولية» - ٣٢ عاماً -؛ ولكنْ يبدو أن صفات (السيد نصر الله) القيادية المتميزة، وتأثيره الكبير على صفوف وأوساط قواعد «حزبْ الله»، قد لعبت دوراً مؤثراً في هذا الاتجاه.

وبالفعل، كان لانتخابه «أميناً عاماً للحزب» الأثر الأبرز في تثبيت «وحدة الحزب»، بقوة بعد الضربة القاسية التي تلقاها باغتيال (السيد عبّاس الموسويّ).

في ذلك العام، وبعد أشهر قليلة من اغتيال «الأمين العام السابق (الموسوي)»، اختار «حزب الله» الدخول إلى قلب «المعترك السياسي» اللبناني، فشارك في «الانتخابات النيابية» التي جرت في ذلك العام (عام ١٩٩٢م)؛ وهي أول انتخابات نيابية تجري بعد انتهاء «الحرب الأهلية في لبنان»؛ فحقّق فوزاً مهماً تمثَّل بوصول (١٢) نائباً من أعضائه إلى «البرلمان»، عن محافظتي «الجنوب» و«البقاع»؛ ثمّ كبرتْ هذه «الكتلة» وازدادت عدداً في «الانتخابات النيابية اللاحقة»، في الأعوام (١٩٩٦م)، و(٢٠٠٠م)، و(٢٠٠٥م)؛ وقد عرفت باسم «كتلة الوفاء للمقاومة».

خاضت المقاومة الإسلامية إبَّان تولّي (السّيّد حسن نصر الله) «الأمانه العامة للحزب»، عدداً من «الحروب» و«المواجهات البطولية» مع «جيش الاحتلال الإسرائيليّ»، كان أبرزها عدوان «حرب تصفية الحساب» في تموز (١٩٩٣م)؛ وعدوان «حرب عناقيد الغضب» في نيسان (١٩٩٦م)، التي توّجت بـ «تفاهم نيسان» الذي كان أحد المفاتيح الكبرى لتطور نوعي لعمل «المقاومة»، الأساسية.

في ١٣ أيلول – سبتمبر من عام (١٩٩٧م) فقد (السّيّد حسن نصر الله) ابنه البِكر (هادي)، في مواجهات دارت بين «مقاتلي الحزب و«جيش العدوّ الإسرائيلي» في منطقة «الجبل الرفيع» جنوبي (لبنان).

يحظى (السّيّد حسن نصر الله) باحترامٍ محلّيّ وإقليميّ وعالميّ، في الأوساط الاجتماعيّة والسّياسيّة المؤمنة بحقّ الشّعوب والأمم في «المقاومة» و«تقرير المصير».

يقرأ (السيد حسن نصر الله) كثيراً، وخاصة «مذكرات» الشخصيات السياسية، وعن أعدائهِ وأعداء العرب والمسلمين وأعداء الإنسانيّة، فقد قرأ «مذكرات (شارون)»، وقرأ (نتنياهو) وبخاصّة كتابه «مكان تحت الشمس»، كما قرأ (بن غوريون) وغيره من رعيل الصّهاينة الأشهر والمؤسّسين؛ وهو يجد أنّ من المهمّ جدّاً التعرّف، جيّداً، على «العدوّ».

وبحسب «دراسة» صدرت عن «المركز الملكي للبحوث والدراسات الإسلامية في الأردن»، عام (٢٠٠٩م)، فإن (السيد حسن نصر الله) يُعدّ من بين أكثر (خمسين شخصية) تأثيراً في تاريخ «العالم الإسلامي».

وفي كلّ حال فإنّ (السّيّد حسن نصر الله) هو، بحقٍّ،«رمزٌ » أسطوري من رموز «مقاومة الاحتلال» و«قوى الاستعمار» في العالم المعاصر .. ويَأْتِي على رأس لائحة القادة التاريخيين الخالدين من أمثال : (عبد القادر الجزائري) و(عمر المختار)، ويرى العارفون أن (السيد حسن نصر الله) هو على رأس «الشخصيات القليلة» في العالم، التي تحسب

لها (إسرائيل) الحسابات الجدّيّة ؛ وهـو - بالفعـل - قائـدٌ ورمـزٌ أسـطوريٌّ تاريخي، سيبقى خالداً على مَرّ الأجيال .

يتمتع (السيد حسن نصر الله) بشعبية كبيرة في (لبنان) وفي العالم العـربي والإسلامي، محليّاً وعربيّاً وإسلاميّاً..، وعالميّاً أيضاً. وهو يحظى باحترام وتقدير الكثير من «علماء المسلمين»، «السّنّة» و«الشّيعة»، على حدّ سواء.

وبالنسبة إليه، فإنّ «حزب الله» ليس «مقاومـة» فقـط، بـل إنـه اليـومَ حاملُ فكر سياسي عام مبني بشكل طبيعي على الإسلام.. يقول :

«بالنسبة إلينا، باختصار، الإسـلام لـيس دينـاً بـسيطاً مـن الطقـوس والأذكار، ولكنه فعلاً رسالة إلهية خاصة بالبشريّة»؛ كما يقول.

قدّم (السيد حسن نصر الله) أنموذجاً حقيقيّاً للإسلام، ابتعد بـه عـن جميع أنماطه الحديثة والمعاصرة الأخرى، تلك التي رأت في «الإسـلام» ديـنَ عنفٍ متخلّفٍ وبدائيّ، وذلك كما جعلت منه بعضُ التّسييـسات العقائديّـة الهمجية للإسلام، وبخاصّة، «الإخوان المـسلمون» و«الوهّابيّـة» المتأسـلمة المتوحّـشة، وأضرابهـما الأخـرى التـي تعتقـدُ بالإسـلام كعقيـدةٍ إقـصائيّة وتجريميّة وتحريفيّة وتكفيريّة، منافية للإنسانيّة والمحبّة والخير والسّلام.

بشّار الأسَد

-١٤-

بشّار الأسَد

آخر العظماء في هذا العصر

ولد [بشّار حافظ الأسَد]، في (١١) أيلول- سبتمبر من العام (١٩٦٥م)، في العاصمة السّوريّة (دمشق)؛ في بيت «رئاسيّ». وعادةً ما يكون لبيت «الرّئيس» نظامه الدّقيق، وحساباته الحازمة، وتقاليده الاختزاليّة والثّابتة، إضافة إلى مقدّساته المعنوية التي تُحذفُ معها كلّ الأصداء الزّائدة؛ فقد كان أبوه (اللواء حافظ الأسَد) حينئذ، قائداً للقوى الجوية والدفاع الجوي السوري، قبل أن يصبح وزيراً للدفاع عام ١٩٦٦ فَـ رئيساً للجمهوريّة عام ١٩٧٠.

اكتسبَ (بشّار الأسَد) العديد من الصّفات الشّخصيّة، من أبيه (حافظ الأسَد)، وبخاصّة تلك المتّصلة بصلابة الموقف، والثّبات على المبادئ، والإخلاص للقضايا القوميّة العربيّة، وتحمّل المسؤوليّات الجِسام، والتّضحية بالشّخصيّ من أجل الوطنيّ والقوميّ والإنسانيّ، واستسهال الصّعابِ، والوفاء للقناعات الشّخصيّة

المبدئيّة المُفضيةِ إلى وضوح التّفكير وحصافة السّلوك والقول، والصّبر على الشّدائد، والبساطةِ التّكوينيّة الخُلُقيّة التي تميّز الرّجولة المجبولة بأفضليّات الحقائق..

وصيغة «الحقّ» كما هي تبدو في واقعيّات النّزاهة المشروطة بالعدالة. وهذا في انضيافِ هذه الصّفات إلى خصائص فرديّة تظهر في الوافر والواضح من السّجايا الشّخصيّة المكنونة في الشّخص السّيّد والحرّ والمستقلّ، والظّاهر في كلّ الظّروف المعتادة والمستجدّة والمفاجئة والطّارئة، أمام جميع الضغوط سواءٌ منها تلك الضغوط الحدّيّة التي تمثّل شروط ضرورات الاستجابة المباشرة، أم تلك المفتوحة على كلّ احتمال ومَقال، وكلّ ذلك في تفاؤل أعصابٍ فريد ومنقطع النّظير.

ولقد جعلت هذه «الخصائص» وتلك «الصّفات» من (بشّار الأسد) شخصيّة شديدة «الوضوح» إلى درجة «الألغاز»، يسلكُ أدقّ المسالكِ وأصعبها وأكثرها تعقيداً وجسامةً..، فيما يبدو أنّه يتنزّهُ في هواء الحقول!

الرّئيس (بشّار الأسَد)، ربُّ أسرةٍ، متزوج من السيدة (أسماء الأخرس)، وله ثلاثة أبناء.

يجيد الرّئيس (بشّار الأسد)، إضافة إلى اللغة الأم «العربية»، كلاً من اللّغتين «الإنكليزية» و«الفرنسية» في شخصيّة معرفيّة ومعاصرةٍ إلى تقاليد سياديّة كلاسيكيّة، تجعل منه امتداداً لماضٍ لا يَنْبَتُّ في حاضرٍ أو مستقبلٍ أكيد.

درس (بشّار الأسد) في «معهد الحرية»، في (دمشق)، مرحلة التعليم «الابتدائية» و«الإعدادية»، وأتمّ فيه «مرحلة الدراسة الثانوية»، عام (١٩٨٢م).

في العام (١٩٨٠م)، اجتاز (بشار الأسَد) دورة «القفز المظلّي»، عندما كان لا يزالُ «طالباً» في «المرحلة الثانوية».

حاز الشهادة الثانوية - الفرع العلمي عام ١٩٨٢ ودخل كلية الطب .. وبعد عامين من ذلك، انتسب إلى القوات المسلحة .. وفي العام (١٩٨٨م) تخرّج في «كلية الطب»، في «جامعة (دمشق) ». وتخصّص في «طبّ العيون» في «مستشفى تشرين العسكري»، ومارس «مهنة الطّبّ» فيه، واجتاز في أثنائها دورة عسكرية تدريبية في حلب، وتخرَّج بـ «رتبة ملازمٍ أوّل»، في «الخدمات الطّبّيّة العسكريّة».

في العام (١٩٩٢م)، غادر (سورية) إلى (بريطانيا)، للتّخصّص العالي في «طبّ العيون».

في العام (١٩٩٤م)، عاد إلى (سورية)...، وانتُخب رئيساً لـ «مجلس إدارة الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية»، التي تقود النشاط المعلوماتي في (سورية).

وفي العام نفسه، (١٩٩٤م) - أي بعد عشر سنوات من انتسابه إلى صفوف القوات المسلحة العربية السورية - كان قد مضى على حمله رتبة «نقيب؛ في الجيش، أربع سنوات ..

حينئذ، جرى تغيير اختصاصه العسكري، من «شؤون طبية» إلى «مدرّعات»؛ واجتاز دورة قائد كتيبة مدرّعات، لمدة ستة أشهر، في كلية المدرعات في حِمص.

في بداية عام (١٩٩٥م) رقّي إلى «رتبة رائد» في «الجيش العربيّ السّوري».

في تموز- يوليو عام (١٩٩٧م) رقّي إلى «رتبة مقدّم ركن»، وذلك بعد تفوّقه في «دورة أركان حرب»، لتقديمه أوّل «بحث أكاديميّ عسكريّ»، وتفوّقه به، في «الجيش العربيّ السّوريّ».

في كانون الثّاني- يناير من العام (١٩٩٩م)، رقّي إلى «رتبة عقيد ركن» في «الجيش العربيّ السّوريّ»، وكان قد تسلّم مهامّ «قائد لواء مدرّع في الحرس الجمهوري»، في «القوّات المسلّحة» العربيّة السّوريّة.

في (١١) حزيران- يونيو من العام (٢٠٠٠م)، رقّي إلى «رتبة فريق» في «الجيش العربيّ السّوريّ»، وتسلّم منصب «القائد العام للجيش والقوّات المسلّحة»، في الجمهوريّة العربيّة السّوريّة؛ وعقدت «القيادة القطريّة» لـ «حزب البعث العربيّ الاشتراكيّ»- في اليوم نفسه- اجتماعها، بكامل أعضائها، واقترحت (بشّار الأسَد) «مرشّحاً» لرئاسة «الجمهوريّة العربيّة السّوريّة».

في (١٨) حزيران- يونيو عام (٢٠٠٠م)، اختار «المؤتمر القطري التاسع» لـ «حزب البعث العربي الاشتراكي»، «الفريق (بشار الأسد)»، قائداً لمسيرة «الحزب» و«الشعب» و«الدّولة».

في (٢٠) حزيران- يونيو عام (٢٠٠٠م)، انتخبه «المؤتمر القطريّ للحزب»، «أميناً عاماً للجنة المركزية للحزب».

في (٢٤) حزيران- يونيو عام (٢٠٠٠م)، انتخبه «المؤتمر القطريّ التّاسع» للحزب، «أميناً قطريّاً» لـ «حزب البعث العربيّ الاشتراكيّ».

في (٢٧) حزيران- يونيو من العام (٢٠٠٠م)، وافق «مجلس الشعب» على اقتراح «القيادة القطرية لحزب البعث العربيّ الاشتراكيّ»، بترشيح «الفريق ركن» (بشار الأسد) لمنصب «رئيس الجمهورية العربيّة السّوريّة»؛ وحدد يوم «العاشر» من تموز- يوليو لعام (٢٠٠٠م)، موعداً للاستفتاء الشعبي على منصب «رئيس الجمهوريّة».

في يوم (١١) تموز- يوليو لعام (٢٠٠٠م)، أعلن «مجلس الشعب» نتيجة «الاستفتاء الشعبي» بالموافقة على الرّئيس(بشار الأسد)، رئيساً للجمهورية العربيّة السّوريّة، لفترة «ولاية دستورية» مدتها (٧) سبعة أعوام؛ بنسبة (٢٩، ٩٧) في المئة من مجموع المشاركين في «الاستفتاء».

في (السّابع عشر) من شهر تموز- يوليو من العام (٢٠٠٠م)، أدّى «الرئيس» (بشّار الأسّد) «القسم الدّستوري» أمام «مجلس الشعب» إيذاناً ببدء «ولايته الدستورية»، وألقى «خطاب القسَم» .

وتمّت إعادة انتخابه لولايةٍ دستوريّة جديدة عام ٢٠٠٧، وكذلك عام ٢٠١٤ ...

عرفت (سورية) في حكم «الرّئيس» (بشّار الأسَد)، انفراجات واسعة وعصريّة في جميع المجالات، وبخاصّة منها« الاقتصاديّة»؛ إذْ عمل على تطبيق استراتيجية اقتصاديّة طموح ومعاصرة، إلى جانب الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعيّة التّدريجيّة، بما في ذلك تهيئة مناخات «الاستثمار الاقتصادي» التّشريعيّة والقانونيّة، على نحو معاصر، وتجديد البيئة التنظيمية المحفّزة، والبنية التحتية، وإنشاء «المدن الصناعية» و«المناطق الحرة» والتحرير النّسبيّ للتجارة، وتطوير «القطاع المالي» و«المصرفي»، والترخيص لمصارف و«شركات تأمين» خاصة و«سوق الأوراق المالية»؛ بحيث ازدادت «الاستثمارات الاقتصاديّة عدّة أضعاف..

كما استحدثت في (سورية) فروعٌ للمصارف الأجنبية، وسُمح للمواطنين بفتح حسابات بالعملات الأجنبية، وترافق هذا التحوّل مع تغيرات نسبيّة في بنية «الاقتصاد السوري»، ما انعكس على «قوة البلاد» العسكريّة والسّياسيّة.

وقد رافق ذلك توفير المناخ السياسي والفكري والتشريعي الملائم للتّحديث، وتطوير الأنظمة والقوانين والاهتمام بالمؤسسات القضائيّة؛ وتطوير قطاع الإعلام، وإصدار تراخيص لصحف ووسائل إعلامية خاصة، وتطوير النظام التربوي والتعليمي، والترخيص لجامعات خاصة، وتكريس العمل المؤسساتي في الهيئات الحكومية والجماهيرية، وتعزيز قيم الإبداع والمعرفة، والاستثمار في تنمية

الموارد البشرية، والإشراف المباشر على عملية «الإصلاح الإداري»، وإحداث تطوير هيكليّ في بنية الحكومة وعملها، وتيسير الإجراءات والمعاملات، ومحاولات تخفيف البيروقراطية، وأتمتة الكثير من أعمال المؤسّسات الحكومية.

وفي السّياسة الخارجيّة، العربيّة والإقليميّة والدّوليّة، كان هاجس (الرئيس بشّار الأسَد) تعميق التّحالفات المصيريّة في الإقليم، وتعزيز دور ومناعة «محور المقاومة»، وتأصير الرّوابط الإنسانيّة المبنيّة على الضّرورة الطّبيعيّة و«البداهات» الآدميّة، وفلسفة المبادلة البدهيّة بين «الذّات» و«الآخر».

انصبّ اهتمام الرّئيس (بشّار الأسَد) على العمل لإقامة السلام العادل والشامل في المنطقة، وفي صلبه استعادة (الجولان) المحتل، و«عدالة» الحقّ العربيّ في (فلسطين) المحتلّة، وسائر الأراضي والحقوق الأخرى المستلبة أو المستباحة؛ وتكريس مفاهيم الحقّ والسيادة والعدالة والشرعية الدولية في العلاقات العالميّة.

كرّس(الرئيس بشّار الأسَد) تحرّكاته السياسيّة والدبلوماسيّة لترسيخ أسس التضامن العربي، والتعاون الإقليمي والدّولي. كما عمل على تشجيع الشراكات الاقتصادية والتجارية وعلاقات التعاون في ميادين الثقافة والعلوم والتقانة، والانفتاح على تجارب الشعوب الأخرى، والتأكيد على «حوار الثقافات».

أمام هذا «التّكريس» و«التّعميق» و«التّعزيز» و«الثّبات» على نهج التّمسّك بالحقّ والعدالة واستقلال «القرار» الحرّ والسّيّد، واجهت (سورية) في عهد الرّئيس (بشّار الأسَد)، انقلاباً عالميّاً، في السّياسات والأفكار والقيم والمصالح والعلاقات..

وأخذ «النّظام العالميّ» المعاصر يُسفر، أكثر فأكثر، عن أخلاقيّاته المتدنيّة والهزيلة. افتُعلت الأحداث والجرائم الكبرى التي غيّرت المفاهيم والمجريات والسّبل، كما غيّرت نظرة الإنسانيّة، نفسها، إلى نفسها.

لقد واكبَ وصولَ (الرئيس بشّار الأسَد) إلى سدّة الحكم في (سورية)، ظروفٌ عالميّة شديدة «الجِدّة» و«الحداثة»، في عالَمٍ قفز قفزةً في فراغاتٍ عظيمة المجهوليّة..، وكان لابدّ من «المعاصرة» السّريعة لكلّ هذا بثقةٍ وحزمٍ وأمانةٍ يصعبُ الجمعُ فيما بينها تحتَ أيّة صيغة، مع الحفاظ على كلّ ما يميّز خصوصيّة أثرِ المكان والجغرافيا والتّاريخ. إنّ الأسلوب هو الشّخص.

تمادت (أمريكا) في هيمنتها على «النّظام الدولي» نتيجة لسقوط الاتحاد السوفييتي والمنظومة الاشتراكية وحلف وارسو- وألْحَقَتْ بها (أوروبّا)، وحكومات «دول» الذّيل- والذّلّ- العربيّ والإسلاميّ، وتجاهلت المؤسّسات والهيئات الدّوليّة، وضربت بألف طول وعرض، جميع ما عرفته البشريّة من أعراف ونظم وعدالات وقوانين..

وكان من الطّبيعيّ أن تتآلف قوى التّمرّد البربريّة مع قوى التّوحّش في المحلّة والمنطقة والإقليم والعالم..

وكانت (سورية)- وما زالتْ- مستهدفة، من خلال استهداف رئيسها، الرّئيس (بشّار الأسد).

فمنذ غزو(أفغانستان) في العام (٢٠٠١م)، ثمّ (العراق) في العام (٢٠٠٣م)، ثمّ «غزو» (لبنان) بقتل (رفيق الحريري) عام (٢٠٠٥م)، ثمّ «الحربُ العدوانيّة» الأمريكية- الإسرائيليّة على (لبنان) عام (٢٠٠٦م)، ثم الحرب الإسرائيليّة البربريّة على (غزّة)، في العام (٢٠٠٨م)؛ ومنذ جميع ما شكّله كلّ ذلك، كان المستهدف فيه مباشرةً، هو الإقليم والمنطقة برمّتها، ومن يمثّلُ فيها القرار الحر السّيّد والمستقلّ، وكان (الرئيس بشّار الأسَد) هو الأنموذج «الأفضلُ» و«الأفعل»..، الذي تتوافر فيه جميع هذه الصّفات و«المَلَكات» والقيم والشّيم؛ (بشّار الأسَد) سورية، و(بشّار الأسَد) الشخص، و(بشّار الأسَد) الأنموذج البشريّ، و(بشّار الأسَد) النهج والمواقف والتحالفات والمقاومة، و(بشّار الأسَد) الأنموذج السياسيّ الحرّ والمستقلّ والأبيّ..، أيضاً.

واجهت (سورية)، وواجه (الرئيس بشّار الأسَد)، منذ عام (٢٠١١م)، ما لم تواجهه «دولةٌ» أو «أمّةٌ» من حربٍ شنيعةٍ وقذرةٍ وهمجيّة وحاقدةٍ ولئيمةٍ، على مرّ عهود وأعصر البشر؛ وما لم يواجهه «رجلٌ» على مرّ حكايات «السّياسات» والثّأرِ والانتقام والعداءِ والاستعداءِ..، في التّاريخ!

لم يكن أحدٌ قادراً على توقّع ردّة فعل «الرّئيس»، التي حوّلها بحنكةٍ ودرايةٍ مبدعتين إلى «أفعال» تركت آثارها المباشرة والسّريعة على مظاهر وبواطن علاقات السّياسة العالميّة المتعيّنة نتائجها المفاجئة في فلسفة سياسيّة، جاءت مدلولاتها ومضامينها بحصادٍ أثمرَ- رغم التّضحيات، بل وبفعل هذه التّضحيات!- في زيادة منعة «الوطن»، وفي ازدياد تحصين «الحقوق» التّاريخيّة للقضايا المصيريّة الكبرى الخاصّة بامتيازات الخيارات التّاريخيّة العظيمة التي اختارها في «المنطقة» «محور المقاومة» ونسق «الممانعة»..

وكان هذا «الاصطفاف» المتين لأنموذج جديد من العلاقات الدّوليّة، أهمّ ما يُميّزه «تَخَبُّط» قوى «التّبجّح» التي انداحت مع مطلع الألفيّة الثّالثة من تاريخنا المكتوب، والتي مثّلتها (أمريكا) و«تابعوها» في «الغرب» وأذنابها في الإقليم، ونهايات أعضائها الصّغرى والهزيلة ممّن هم محسوبون على (سورية) في «الوطن» وفي خارج «الوطن».

تقع اليومَ مكانةُ ومكانُ (الرئيس بشّار الأسَد) في مفصل وطنيّ ومحلّيّ وإقليميّ ودوليّ، وعالميّ. وينعقد عليه الكثيرُ من آمال كبريات الجماعات والفئات والطّبقات والأشخاص في (سورية)، وفي الأمّة العربيّة، وفي المنطقة بل والعالم؛ كما يُنظرُ إليه بعقول وأفئدة جماهير الشّعوب الحرّة في زماننا المعاصر؛ وكما تتبلسمُ في مستقبله جميع جراحات وآلام الوطن، تماماً كما تتمثّلُ في شخصه - كظاهرة طهرٍ وقوّة وسلطة ومعرفة : جميع آمال البسطاء والشّرفاء، وكذلك الأنقياء من

المثقّفين والعارفين والمفكّرين والأبطال أيضاً على شساعة المكان وغموض الزّمان.

وإذ لا يهدف الحديث، هذا، إلى عدِّ (الرئيس بشّار الأسَد)، لغزاً؛ فإنّ الرّاجح في هذا الحديث، وفي «الواقع» المفتوح أبداً على الخيال، هو أن (الرئيس بشّار الأسَد) بات ظاهرة تختزلُ مفردات ومفاهيم أساسيّة وجوهريّة في «اللغة» الضّروريّة والواجبة، من أهمّها أنّه مستقرّ منبع أمل وطنيّ وقوميّ وإنسانيّ..، ومحطّ ثباتِ رجاءٍ، وابتسارِ ضروراتِ مستقبلٍ مشرقٍ قادم .

ومن هنا، بات «الرئيس بشار الأسد » آخر العظماء في هذا العصر .

فهرس

الصفحة

د. بهجت سليمان

- من مواليد اللاذقية ١٩٤٩.

- تخرج من الكلية الحربية، وتدّرج في قيادة تشكيلات تابعة للجيش العربي السوري، فكان قائد سرية دبابات ثم قائد كتيبة ثم قائد فوج ثم قائد لواء دبابات.

- شارك في حرب تشرين عام ١٩٧٣، ضد الاحتلال الإسرائيلي كقائد سرية دبابات، وفي مواجهة الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، كقائد لواء دبابات.

- حاصل على دكتوراه في الاقتصاد السياسي عام ١٩٨٢ من أكاديمية العلوم الاقتصادية والسياسية في «بوخارست»، عن أطروحته (التنمية الاقتصادية والسياسية في بلدان العالم الثالث، بعد الحرب العالمية الثانية). كما حصل على شهادة دكتوراه ثانية في العلوم العسكرية، بالمراسلة من (موسكو) عام ١٩٩٨ بعنوان (بين الحرب العالمية الثانية.. وسقوط جدار برلين).

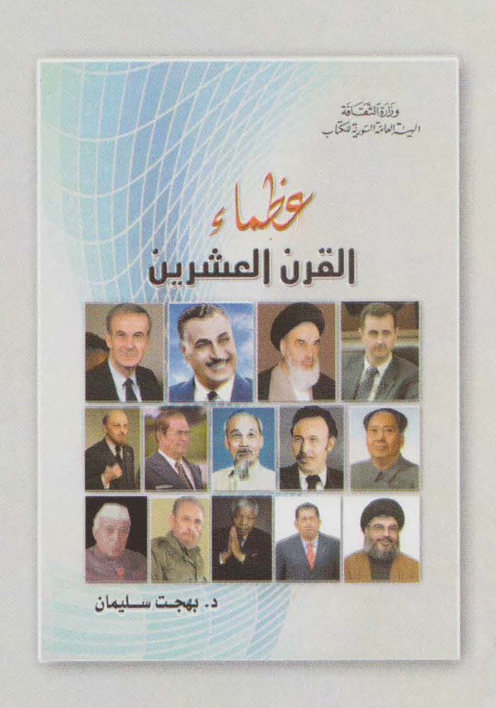
- انتقل في عام ١٩٨٥ إلى إدارة المخابرات العامة، وشغل مناصب عديدة فيها، وآخرها منصب رئيس فرع الأمن الداخلي ١٩٩٥-٢٠٠٥.

- تدّرج في الرتب العسكرية، إلى أن جرى ترفيعه إلى رتبة (لواء) في ١/ ١/ ٢٠٠١.

- أحيل إلى التقاعد من العمل العسكري في بداية عام ٢٠٠٩، وجرى تعيينه سفيراً في وزارة الخارجية السورية، واعتماده في التاريخ ذاته، سفيراً مفوضاً وفوق العادة للجمهورية العربية السورية في المملكة الأردنية الهاشمية.

- لديه العديد من الأعمال الفكرية المنشورة في القضايا السياسية والاجتماعية، والاقتصادية والعسكرية، وأهمها (دور القائد في التاريخ)، (الحرية والعبودية بين الماضي والحاضر)، (التطورات الاقتصادية والسياسية في بلدان العالم الثالث وتأثيرها على النظريات الاقتصادية المعاصرة)، وكان كتاب (ما جرى ويجري في سورية: مؤامرة أم ثورة؟) هو آخِر ما نُشِر من مؤلّفاته.

الطبعة الأولى / ٢٠١٧م



هذا الكتاب ...

يقدم لنا الدكتور بهجت سليمان في كتابه هذا عدة شخصيات قيادية هي من أبرز وجوه الملحمة الإنسانية والثورية الكبرى التي عرفتها شعوب المعمورة للتخلص من أصفادها والتحرر من سجانيها.

إن همّ هذا الكتاب هو كهموم الكتب التي سبق وقدمها الدكتور بهجت للقراء: البحث عن شعلة الأمل التي تجعل النصر في معارك التحرر من ربقة التبعية للغرب الرأسمالي ممكناً وضرورياً، وتصوّر الخوض في هذه المعارك بكل بسالة واقتدار كحتمية لا بد منها، إذا أردنا لأوطاننا أن تنعم باستقلالها وحريتها وكرامتها.




www.syrbook. gov.sy

